1

لمكان الذى يمنعها فيه منهم سيصيب الذين اجرموا من اكابرها صغار وقماءة بعد كبرهم
وعظمهم وعذاب شديد فى الدارين من الاسر والقتل وعذاب النار فمن يرد الله ان يهديه
ان يلطف به ولا يريد ان يلطف الا بمن له لطف يشرح صدره للاسلام يلطف به حتى
يرغب فى الاسلام وتسكن اليه نفسه ويحب الدخول فيه ومن يرد ان يضله ان يخذله
ويخليه وشانه وهو الذى لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا يمنعه الطافه حتى يقسو
قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف والتشديد
حرجا بالكسر وحرجا بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصعد فى السماء كانما يزاول امرا غير
ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة وتضيق عنه المقدرة
وقرئ يصّعّد واصله يتصعد وقرأ عبد الله يتصعد ويصّاعد واصله يتصاعد ويصعد
من صعد ويُصعد من اصعد يجعل الله الرجس يعنى الخذلان ومنع التوفيق وصفه
بنقيض ما يوصف به التوفيق من الطيب او اراد الفعل المؤدى الى الرجس وهو العذاب
من الارتجاس وهو الاضطراب وهذا صراط ربك وهذا طريقه الذى اقتضته الحكمة و
عادته فى التوفيق والخذلان مستقيما عادلا مطردا وانتصابه على انه حال مؤكدة
كقوله وهو الحق مصدقا لقوم يذكرون لهم دار السلام دار الله يعنى الجنة اضافها
الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من كل آفة وكدر عند ربهم فى ضمانه كما تقول
لفلان عندى حق لا ينسى او ذخيرة لهم لا يعلمون كنهها كقوله فلا تعلم نفس ما اخفى
لهم من قرة اعين وهو وليهم مواليهم او محبهم او ناصرهم على اعدائهم بما كانوا يعملون
بسبب اعمالهم او متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون ويوم نحشرهم قلنا يا معشر الجن او و
يوم نحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير لمن يحشر من الثقلين
وغيرهم والجن هم الشياطين قد استكثرتم من الانس اضللتم منهم كثيرا او جعلتموهم اتباعكم
فحشر معكم منهم الجم الغفير كما تقول استكثر الامير من الجنود واستكثر فلان من الاشياع
وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم واستمعوا الى وسوستهم ربنا استمتع بعضنا ببعض
اى انتفع الانس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى اسباب التوصل اليها وانتفع
الجن بالانس حيث اطاعوهم وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم فى اغوائهم وقيل استمتاع
الانس بالجن ما فى قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وان الرجل كان

اذا نزل واديا وخاف قال اعوذ برب هذا الوادي يعني به كبير الجن واستمتاع الجن بالانس
اعتراف الانس لهم بانهم يقدرون على الدفع عنهم واجارتهم لهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت
لنا يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى
والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم وتحسر على حالهم خالدين فيها الا ما شاء الله اي يخلدون
في عذاب النار الابد كله الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير
فقد روي انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم من بعض فيتعا
وون ويطلبون الرد الى الجحيم ويكون من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه انيابه
وقد طلب اليه ان ينفس عن خناقه اهلكني الله ان نفست عنك الا اذا شئت وقد علم انه لا يشاء
الا التشفي منه باقصى ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد فيكون قوله الا اذا شئت من
اشد الوعيد مع تهكم بالموعد لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه اطماع ان ربك حكيم لا
يفعل شيا الا بموجب الحكمة عليم بان الكفار يستوجبون عذاب الابد نولي بعض الظالمين بعضا
نخليهم حتى يتولى بعضهم بعضا كما فعل الشياطين وغواة الانس او نجعل بعضهم اولياء بعض يوم
القيامة وقرناءهم كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي يقال
لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ الم ياتكم رسل منكم واختلف في ان الجن هل بعث اليهم رسل
منهم فتعلق بعضهم بظاهر الاية ولم يفرق بين مكلفين ومكلفين ان بعث اليهم رسول من جنسهم
لانهم به انس وله الف وقال اخرون الرسل من الانس خاصة وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع
الثقلان في الخطاب صح ذلك وان كان من احدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقيل
اراد رسل الرسل من الجن اليهم كقوله ولوا الى قومهم منذرين وعن الكلبي كانت الرسل قبل
ان يبعث محمد يبعثون الى الانس ورسول الله الى الجن والانس قالوا شهدنا على انفسنا حكاية
لتصديقهم وايجابهم قوله الم ياتكم لان الهمزة الداخلة على نفي اثبات الرسل للانكار فكان
تقريرا لهم وقولهم شهدنا على انفسنا اقرار منهم بان حجة الله لازمة لهم وانهم محجوجون بها
فان قلت ما لهم مقرين في هذه الاية جاحدين في قوله والله ربنا ما كنا مشركين قلت تتفاوت
الاحوال والمواطن في ذلك اليوم المتطاول فيقرون في بعضها ويجحدون في البعض او اريد
شهادة ايديهم وارجلهم وجلودهم حين يختم على افواههم فان قلت لم كرر ذكر شهادتهم
على انفسهم قلت الاولى حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون والثانية ذم لهم وتخطئة لرايهم

نظرهم بدل

ووصف لقلة نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرتهم الحيوة الدنيا واللذات الحاضرة وكان عاقبة ا
مرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام لربهم واستيجاب عذابه وانما
قال ذلك تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم و
انذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك وان لم يكن ربك مهلك القرى
تعليل اي الامر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على ان ان هي التي تنصب
الافعال ويجوز ان تكون مخففة من الثقيلة على معنى ان الشان والحديث لم يكن ربك
مهلك القرى بظلم ولك ان تجعله بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء
مقطوع بظلم بسبب ظلم اقدموا عليه او ظالما على انه لو اهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول
وكتاب لكان ظالما وهو متعال عن الظلم وعن كل قبيح ولكل من المكلفين درجات منازل
مما عملوا من جزاء اعمالهم وما ربك بغافل عما يعملون بساه عنه يخفى عليه مقاديره
واحواله وما يستحق عليه من الاجر وربك الغني عن عباده وعن عبادتهم ذو الرحمة يترحم
عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة ان يشا يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم
ما يشاء من الخلق المطيع كما انشاكم من ذرية قوم اخرين من اولاد قوم اخرين لم يكونوا
على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عم المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن
ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله على مكانتكم يحتمل اعملوا
على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم واعملوا على جهتكم وحالكم التي انتم عليها
يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حاله على مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه لا تنحرف
عنه اني عامل اي عامل على مكانتي التي انا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت
على الاسلام وعلى مصابرتكم فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة المحمودة وطريقة هذا الا
مر طريقة قوله اعملوا ما شئتم وهي التخلية والتسجيل على المامور بانه لا ياتي منه الا الشر
فكانه مامور به وهو واجب عليه حتم ليس له ان يتفصى عنه ويعمل بخلافه فان قلت ما موضع
من قلت الرفع اذا كان بمعنى اي وعلق عنه فعل العلم او النصب اذا كان بمعنى الذي وعاقبة
الدار العاقبة الحسنى التي خلق الله هذه الدار لها وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك
فيه انصاف في المقال وادب حسن مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بان المنذر محق
وان المنذر مبطل كانوا يعينون اشياء من حرث ونتاج لله واشياء منها لالهتهم فاذا راوا

ما جعلوا لله زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه للآلهة واذا زكى ما جعلوه للاصنام
تركوه لها واعتلوا بان الله غني وانما ذاك لحبهم آلهتهم وايثارهم لها وقوله مما ذرا فيه ان الله
كان اولى بان يجعل له الزاكي لانه هو الذي ذراه وزكاه ولا يرد الى ما لا يقدر على ذرء ولا
تزكية. بزعمهم وقرئ بالضم اي قد زعموا انه لله والله لم يامرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة
التي هي من الشرك لانهم اشركوا بين الله وبين اصنامهم في القربة فلا يصل الى الله اي لا يصل
الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين فهو يصل الى
شركايهم من انفاق عليها بذبح نسايك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك ساء ما يحكمون في
ايثار آلهتهم على الله وعملهم على ما لم يشرع وكذلك ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة
القربان بين الله والآلهة او مثل ذلك التزيين البليغ الذي هو علم من الشياطين والمعنى ان شركا
يهم من الشياطين او من سدنة الاصنام زينوا لهم قتل اولادهم بالواد او بنحرهم للآلهة و
كان الرجل يحلف في الجاهلية لين ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب وقرئ
زين على البناء للفاعل الذي هو شركاوهم ونصب قتل اولادهم وزين على البناء للمفعول الذي
هو القتل ورفع شركاوهم باضمار فعل دل عليه زين كانه قيل لما قيل زين لهم قتل اولادهم من
زينه فقيل زينه لهم شركاوهم واما قراءة ابن عامر قتل اولادهم شركايهم برفع القتل ونصب
الاولاد وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان
في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا كما سمج ورد زج القلوص ابي مزاده
فكيف به في الكلام المنثور فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته والذي حمله
على ذلك ان راى في بعض المصاحف شركايهم مكتوبا بالياء ولو قرا بجر الاولاد والشركاء لان
الاولاد شركاوهم في اموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب ليردوهم ليهلكوهم
بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوه عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من
دين اسمعيل حتى زلوا عنه الى الشرك وقيل دينهم الذي وجب ان يكونوا عليه وقيل معناه
وليوقعهم في دين ملتبس فان قلت ما معنى اللام قلت ان كان التزيين من الشياطين فهي
على حقيقة التعليل وان كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة ولو شاء الله مشية قسر ما
فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او ما فعل الشياطين او السدنة التزيين او الا
رداء او اللبس او جميع ذلك ان جعلت الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة وما يفترون وما يفترونه

من الافك او ولفتراهم حجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر
والمونث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وقرا الحسن وقتادة حجر بضم
الحاء وعن ابن عباس حرج وهو من التضييق وكانوا اذا عينوا اشياء من حرثهم وانعامهم لا
لهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء وانعام حرمت
ظهورها هي البحاير والسوايب والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون
عليها اسماء الاصنام وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها والمعنى انهم قسموا انعامهم
فقالوا هذه انعام حجر وهذه انعام محرمة الظهور وهذه انعام لا يذكر عليها اسم الله فجعلوها
اجناسا بهواهم ونسبوا ذلك التجنيس الى الله افتراء عليه اي فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء
وانتصابه على انه مفعول له او حال او مصدر موكد لان قولهم ذلك في معنى الافتراء كانوا يقولون
في اجنة البحاير والسوايب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا ياكل منه الاناث وما ولد
ميتا اشترك فيه الذكور والاناث وانث خالصة للحمل على المعنى لان ما في معنى الاجنة وذكر
ومحرم للحمل على اللفظ ونظيره ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك ويجوز ان تكون
التاء للمبالغة مثلها في راوية الشعر وان تكون مصدرا وقع موقع الخالص كالعافية اي ذو
خالصة ويدل عليه قراءة من قرا خالصة بالنصب على ان قوله لذكورنا هو الخبر وخالصة
مصدر موكد ولا يجوز ان يكون حالا متقدمة لان المجرور لا يتقدم عليه حاله وقرا ابن عباس
خالصه على الاضافة وفي مصحف عبد الله خالص وان يكن ميتة وان يكن ما في بطونها ميتة و
قرئ وان تكن بالتانيث على وان تكن الاجنة ميتة وقرا اهل مكة وان تكن ميتة بالتا
نيث والرفع على كان التامة وتذكير الضمير في قوله فهم فيه شركاء لان الميتة لكل ميت ذكر او
انثى فكانه قيل وان يكن ميت فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله
في التحليل والتحريم من قوله وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذ
ب هذا حلال وهذا حرام نزلت في ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة
السبي والفقر سفها بغير علم لخفة احلامهم وجهلهم بان الله هو رازق اولادهم وقرئ قتلوا
بالتشديد ما رزقهم الله من البحاير والسوايب وغيرها انشا جنات من الكروم معروشات
مسموكات وغير معروشات متروكات على وجه الارض لم تعرش وقيل المعروشات ما في
الارياف والعمران مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات مما انبته الله و

حشيا في البراري والجبال فهو غير معروش يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعايم وسمكا
تعطف عليه القضبان وسقف البيت عرشه مختلفا اكله في اللون والطعم والحجم والرايحة
وقرئ اكله بالضم والسكون وهو ثمره الذي يؤكل والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه
معطوفا عليه ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن وقت الانشا كذلك كقوله فادخلوها خالدين
وقرئ ثمره بضمتين فان قلت ما فايدة قوله اذا اثمر وقد علم انه اذا لم يثمر لم يوكل منه قلت
لما ابيح لهم الاكل من ثمره قيل اذا اثمر ليعلم ان وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر لئلا يتوهم
انه لا يباح الا اذا ادرك واينع واتوا حقه يوم حصاده الاية مكية والزكوة انما فرضت
بالمدينة فاريد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى
نسخه افتراض العشر ونصف العشر وقيل مدنية والحق هو الزكوة المفروضة ومعناه و
اعزموا على ايتاء الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد حتى لا تؤخروه عن اول وقت يمكن
فيه الايتاء ولا تسرفوا في الصدقة كما روي عن ثابت بن قيس انه صرم خمسماية نخلة
ففرق ثمرها كله ولم يدخل منه شيا الى منزله ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا
حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشا من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذ
بح او ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش
الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش
المفروش عليها ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحريم والتحليل من عند انفسكم كما فعل اهل
الجاهلية ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا اثنين زوجين اثنين يريد الذكر والانثى
كالجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز والواحد اذا كان وحده
فهو فرد واذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل
قوله خلق الزوجين الذكر والانثى والدليل عليه قوله ثمانية ازواج ثم فسرها بقوله من الضان
اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط ان يكون
معه اخر من جنسه تسميتهم الزجاجة كاسا بشرط ان يكون فيها خمر والضان والمعز جمع ضاين
وماعز كتاجر وتجر وقرئا بفتح العين وقرأ ابي ومن المعزى وقرئ اثنان على الابتداء الهمزة
في الذكرين للانكار والمراد بالذكرين الذكر من الضان والذكر من المعز وبالانثيين الانثى من
الضان والانثى من المعز على طريق الجنسية والمعنى انكار ان يحرم الله من جنسي الغنم ضانها

اول م

ومعزها

ومعزها شيا من نوعي ذكورها واناثها ولا مما تحمل اناث الجنسين وكذلك الذكران من جنسي
الابل والبقر والانثيان منهما وما تحمل اناثهما وذلك انهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة
واناثها تارة واولادها كيفما كانت ذكورا او اناثا او مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها
الله فانكر ذلك عليهم نبئوني بعلم اخبروني بامر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم ان كنتم
صادقين في ان الله حرمه ام كنتم شهداء بل اكنتم شهداء ومعنى الهمزة للانكار يعني ام شاهدتم
ربكم حين امركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة على مذهبهم لانهم كانوا لا يؤمنون برسول
وهم يقولون الله حرم هذا الذي نحرمه فتهكم بهم في قوله ام كنتم شهداء على معنى اعرفتم التو
صية به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه
تحريم ما لم يحرم ليضل الناس وهو عمرو بن لحي بن قمعة الذي بحر البحاير وسيب السوايب
فان قلت كيف فصل بعض المعدود وبعضه ولم يوال بينه قلت قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا
غير اجنبي من المعدود وذلك ان الله عز وجل من على عباده بانشا الانعام لمنافعهم وباباحتها
لهم فاعترض بالاحتجاج على من حرمها والاحتجاج على من حرمها تاكيد وتشديد للتحليل والا
عتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد قل لا اجد فيما اوحي الي تنبيه على ان التحريم انما يثبت بوحي الله و
شرعه لا بهوى الانفس محرما طعاما محرما من المطاعم التي حرمتموها الا ان يكون ميتة الا
ان يكون الشي المحرم ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا سايلا كالدم في العروق بعد الذبح او
فسقا عطف على المنصوب قبله سمي ما اهل به لغير الله فسقا لتوغله في باب الفسق ومنه قوله
ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق واهل صفة له منصوبة المحل ويجوز ان يكون مفعولا
له من اهل اي اهل لغير الله به فسقا فان قلت علام تعطف اهل والام يرجع الضمير في به على
هذا القول قلت يعطف على يكون ويرجع الضمير الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر
فمن دعته الضرورة الى اكل شي من هذه المحرمات غير باغ على مضطر مثله تارك لمواساته
ولا عاد متجاوز قدر حاجته من تناوله فان ربك غفور رحيم لا يواخذه ذو الظفر ماله اصبع
من دابة او طاير وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم ذلك عليهم فعم التحريم كل
ذي ظفر بدليل قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله ومن البقر
والغنم حرمنا عليهم شحومهما كقولك من زيد اخذت ماله تريد بالاضافة زيادة الربط والمعنى
انه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شي منه وترك البقر والغنم على التحليل لم يحرم منها

بين م

الا كالكبد والطحال وقد رخص في دم العروق م

الا الشحوم الخاصة وهي الثروب وشحوم الكلى وقوله الا ما حملت ظهورهما يعني الا ما اشتملت على
الظهور والجنوب من السحفة او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء او ما اختلط بعظم وهو شحم الا
لية وقيل الحوايا عطف على شحومهما واو بمنزلتها في قولهم جالس الحسن او ابن سيرين ذلك الجزاء
جزيناهم وهو تحريم الطيبات ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون فيما اوعدنا به العصاة لا نخلفه
كما لا نخلف ما وعدناه اهل الطاعة فلما عصوا وبغوا الحقنا بهم الوعيد واحللنا بهم العقاب
فان كذبوك في ذلك وزعموا ان الله واسع الرحمة وانه لا يواخذ بالبغي ويخلف الوعيد جودا
وكرما فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لاهل طاعته ولا يرد باسه مع سعة رحمته عن القوم المجر
مين فلا يغتر برجاء رحمته عن خوف نقمته سيقول الذين اشركوا اخبار بما سوف يقولونه
ولما قالوه قال وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يعنون بكفرهم وتمردهم
ان شركهم وشرك ابائهم وتحريمهم ما احل الله بمشية الله وارادته ولولا مشيته لم يكن شيء
من ذلك كمذهب المجبرة بعينه كذلك كذب الذين من قبلهم اي جاءوا بالتكذيب المطلق لان
الله تعالى ركب في العقول وانزل في الكتب ما دل على غناه وبرائته من مشية القبائح وارادتها والر
سل اخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشية الله وارادته فقد كذب
التكذيب كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله ونبذ ادلة العقل والسمع وراء ظهره حتى ذاقوا
باسنا حتى انزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم
فتخرجوه لنا وهذا من التهكم والشهادة بان مثل قولهم محال ان يكون له حجة ان تتبعون الا الظن
في قولكم هذا وان انتم الا تخرصون تقدرون ان الامر كما تزعمون او تكذبون وقرئ كذلك كذب الذ
ين من قبلهم بالتخفيف قل فلله الحجة البالغة يعني فان كان الامر كما زعمتم ان ما انتم عليه بمشية
الله فلله الحجة البالغة عليكم على قود مذهبكم فلو شاء لهديكم اجمعين منكم ومن مخالفيكم في الدين
فان تعليقكم دينكم بمشية الله تقتضي ان تعلقوا دين من خالفكم ايضا بمشيته فتوالوهم ولا تعا
دوهم وتوافقوهم ولا تخالفوهم لان المشية تجمع بين ما انتم عليه وبين ما هم عليه هلم يستوي
فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث عند الحجازيين وبنو تميم تونث وتجمع والمعنى هاتوا
شركائكم شهداءكم وقربوهم فان قلت كيف امره باستحضار شهدائهم الذين يشهدون
ان الله حرم هذا زعموه محرما ثم امره بان لا يشهد معهم قلت امره باستحضارهم وهم شهداء
بالباطل ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر ويظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهداء انهم ليسوا على شيء

لتساوي اقدام الشاهدين والمشهود لهم في انهم لا يرجعون الى ما يصح التمسك به وقوله فلا تشهد
معهم يعني فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لانه اذا سلم لهم فكانه شهد معهم مثل شهادتهم
وكان واحدا منهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة
على ان من كذب بايات الله وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير لانه لو تبع الدليل لم يكن
الا مصدقا بالايات موحدا لله فان قلت هلا قيل قل هلم شهداء يشهدون ان الله حرم هذا
واي فرق بينه وبين المنزل قلت المراد ان يحضروا شهداءهم الذين علم انهم يشهدون
لهم وينصرون قولهم وكان المشهود لهم يقلدونهم ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم
ليهدم ما يقومون به فيحق الحق ويبطل الباطل فاضيف الشهداء لذلك وجيء بالذين
يشهدون للدلالة على انهم شهداء معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم
والدليل عليه قوله فان شهدوا فلا تشهد معهم ولو قيل هلم شهداء يشهدون لكان معناه
هاتوا اناسا يشهدون بتحريم ذلك وكان الظاهر طلب شهداء بالحق وذلك ليس بالغرض ويناقضه
قوله فان شهدوا فلا تشهد معهم تعال من الخاص الذي صار عاما واصله ان يقوله
من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم وما حرم منصوب بفعل التلا
وة بمعنى اتل الذي حرمه ربكم او بحرم بمعنى اقل اي شيء حرم ربكم لان التلاوة من القول
وان في ان لا تشركوا مفسرة ولا للنهي فان قلت هلا قلت هي التي تنصب الفعل وجعلت ان
لا تشركوا بدلا من ما حرم قلت وجب ان يكون لا تشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا ولا تتبعوا
السبل نواهي لانعطاف الاوامر عليها وهي قوله وبالوالدين احسانا واوفوا واذا قلتم فاعدلوا
وبعهد الله اوفوا فان قلت فما تصنع بقوله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه فيمن قرا بالفتح
وانما يستقيم عطفه على ان لا تشركوا اذا جعلت ان هي الناصبة للفعل حتى يكون المعنى
اتل عليكم نفي الاشراك والتوحيد واتل عليكم ان هذا صراطي مستقيما قلت اجعل قوله وان
هذا صراطي مستقيما علة للاتباع بتقدير اللام كقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا
بمعنى ولان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه والدليل عليه القراءة بالكسر كانه قيل واتبعوا صراطي
لانه مستقيم فان قلت اذا جعلت ان مفسرة لفعل التلاوة وهو معلق بما حرم ربكم
وجب ان يكون ما بعده منهيا عنه محرما كله كالشرك وما بعده مما دخل عليه حرف
النهي فما تصنع بالاوامر قلت لما وردت هذه الاوامر مع النواهي وتقدمهن جميعا فعل

لانه ح

اي سوى به غيره

التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه علم ان التحريم راجع الى اضدادها وهي الاساءة الى الو
الدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله من املاق من اجل فقر
ومن خشية كقوله خشية املاق ما ظهر منها وما بطن مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه الا بالحق
كالقصاص والقتل على الردة والرجم الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن ما يفعل بمال
اليتيم وهي حفظه وتثميره والمعنى احفظوه عليه حتى يبلغ اشده فادفعوه اليه بالقسط بالسوية
والعدل لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا تعجز عنه وانما اتبع الامر بايفاء الكيل والميزان
ذلك لان مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج فا
مر ببلوغ الوسع وان ما وراءه معفو عنه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه في
شهادة او غيرها من اهل قرابة القايل فما ينبغي ان يزيد في القول او ينقص كقوله ولو على انفسكم
او الوالدين والاقربين وقرى وان هذا صراطي مستقيما بتخفيف ان واصله وانه صراطي على
ان الهاء ضمير الشان والحديث وقرا الاعمش وهذا صراطي وفي مصحف عبد الله وهذا
صراط ربكم وفي مصحف ابي وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الطرق المختلفة في الدين من
اليهودية والنصرانية والمجوسية وساير البدع والضلالات فتفرق بكم فتفرقكم ايادي سبا عن
سبيله عن صراط الله المستقيم وهو دين الاسلام وقرى فتفرق بادغام التا وروى ابو وايل
عن ابن مسعود عن النبي ع انه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله
خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه الاية وان هذا صراطي
مستقيما وعن ابن عباس رضي هذه الايات محكمات لم ينسخهن شي من جميع الكتب وقيل انهن
ام الكتاب ومن عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذي نفس
كعب بيده ان هذه الايات لاول شي في التورية فان قلت علام عطف قوله ثم اتينا قلت
على وصاكم به فان قلت كيف صح عطفه عليه بثم والايتاء قبل التوصية بدهر طويل قلت هذه
التوصية قديمة لم تزل تتواصاها كل امة على لسان نبيها كما قال ابن عباس محكمات لم ينسخهن شي
من جميع الكتب فكانه قيل ذلكم وصيكم به يا بني ادم قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا اتينا
موسى الكتاب وانزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله
ووهبنا له اسحق ويعقوب تماما على الذي احسن تماما للكرامة والنعمة على الذي احسن
على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين وتدل عليه قراءة عبد الله على الذين احسنوا
او

او اراد به موسى عليه السلام اي تتمة للكرامة على العبد الذي احسن الطاعة في التبليغ وفي كل
ما امر به او تماما على الذي احسن موسى من العلم والشرايع من احسن الشي اذا اجاد معرفته
اي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرى يحيى بن يعمر على الذي احسن اي على الذي هو
احسن بحذف المبتدا كقراءة من قرا مثلا ما بعوضة بالرفع اي على الذي احسن دين و
ارضاه او اتينا موسى الكتاب تماما اي تاما كاملا على احسن ما تكون عليه الكتب اي على
الوجه والطريق الذي هو احسن وهو معنى قول الكلبي اتم له الكتاب على احسنه ان تقولوا
كراهة ان تقولوا على طايفتين يريدون اهل التورية واهل الانجيل وان كنا هي ان المخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا عن دراستهم غافلين على
ان الهاء ضمير الشان عن دراستهم عن قراءتهم اي لم نعرف مثل دراستهم لكنا اهدى منهم
لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا وغزارة حفظنا لايام العرب ووقايعها وخطبها واشعا
رها واسجاعها وامثالها على انا اميون وقرى ان يقولوا او يقولوا بالياء فقد جاءكم بينة
من ربكم تبكيت لهم وهو على قراءة من قرا يقولوا على لفظ الغيبة احسن لما فيه من الالتفات
والمعنى ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم فقد جاءكم بينة من ربكم فحذف الشرط وهو
من احاسن الحذوف فمن اظلم ممن كذب بايات الله بعد ما عرف صحتها وصدقها او تمكن
من معرفة ذلك وصدف عنها الناس فضل واضل سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء
العذاب كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب الملائكة ملائكة
العذاب او الموت او ياتي ربك او ياتي كل ايات ربك بدليل قوله او ياتي بعض ايات ربك يريد
ايات القيامة والهلاك الكلي وبعض الايات اشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير
ذلك وعن البرا بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله ص فقال ما تذاكرون قلنا
نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات الدخان ودابة الارض وخسفا
بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها و
نزول عيسى ونارا تخرج من عدن لم تكن امنت من قبل صفة لقوله نفسا او كسبت في ايمانها
خيرا عطف على امنت والمعنى ان اشراط الساعة اذا جاءت وهي ايات ملجئة مضطرة
ذهب اوان التكليف عندها فلم ينفع الايمان حينيذ نفسا غير مقدمة ايمانها من قبل ظهور الا
يات او مقدمة ايمانها غير كاسبة خيرا في ايمانها فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة اذا

آمنت في غير وقت الايمان وبين النفس التي امنت في وقتها ولم تكسب خيرا لتعلم ان قوله الذين
امنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين لا ينبغي ان تنفك احديهما عن الاخرى حتى يفوز صاحبها
ويسعد والا فالشقوة والهلاك قل انتظروا انا منتظرون وعيد وقرى ان تاتيهم الملائكة بالياء
والتاء وقرا ابن سيرين لا تنفع بالتاء لكون الايمان مضافا الى ضمير المونث الذي هو بعضه
كقولك ذهبت بعض اصابعه فرقوا دينهم اختلفوا فيه كما اختلفت اليهود والنصارى وفي
الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وهي الناجية وافترقت
النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على ثلث وسبعين
فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وقيل فرقوا دينهم فامنوا ببعض وكفروا ببعض وقرى فارقوا
دينهم اي تركوه وكانوا شيعا فرقا كل فرقة تشيع اماما لها لست منهم في شيء اي من السؤال
عنهم وعن تفرقهم وقيل من عقابهم وقيل هي منسوخة باية السيف عشر امثالها على اقامة صفة
الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات امثالها وقرى عشر امثالها برفعهما جميعا
على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد وعد بالواحد سبع ماية ووعد ثوابا
بغير حساب ومضاعفة الحسنات فضل ومكافات السيات عدل وهم لا يظلمون لا ينقص من
ثوابهم ولا يزاد على عقابهم دينا نصب على البدل من محل الى صراط لان معناه هداني صراطا بدليل
قوله ويهديكم صراطا مستقيما والقيم فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من القايم
وقرى قيما والقيم مصدر بمعنى القيام وصف به وملة ابرهيم عطف بيان وحنيفا حال من ابرهيم
ان صلاتي ونسكي وعبادتي وتقربي كله وقيل وذبحي وجمع بين الصلوة والذبح كما في قوله
فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي من مناسك الحج ومحياي ومماتي وما اتيه في حيوتي واموت
عليه من الايمان والعمل الصالح لله رب العالمين خالصة لوجهه وبذلك من الاخلاص
امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم لاسلام امته اغير الله ابغي ربا جواب عن
دعائهم له الى عبادة الهتهم والهمزة للانكار اي منكر ان ابغي ربا غيره وهو رب كل شيء فكل
من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره كما قال افغير الله تامروني اعبد ولا
تكسب كل نفس الا عليها جواب من قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم جعلكم خلايف الارض
لان محمدا عم خاتم النبيين فخلفت امته ساير الامم او جعلهم يخلف بعضهم بعضا او هم خلفا
الله في ارضه يملكونها ويتصرفون فيها ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والرزق

ليبلوكم فيما اتيكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع
والحر بالعبد والغني بالفقير ان ربك سريع العقاب لمن كفر نعمته وانه لغفور رحيم لمن
قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ما هو ات قريب عن رسول الله عم انزلت علي
سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرا
الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل اية من سورة الانعام يوما
وليلة

سورة الاعراف مكية غير ثمان ايات وسلهم عن القرية التي واذ نتقنا وهي ماتان وست ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب
خبر مبتدا محذوف اي هو كتاب وانزل اليك صفة له والمراد بالكتاب السورة فلا يكن في
صدرك حرج منه اي شك منه كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك ويسمي الشك حرجا لان
الشاك ضيق الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه اي لا تشك في انه منزل
من الله او حرج من تبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه واذاهم فكان
يضيق صدره من الاذا ولا ينبسط له فامنه الله ونهاه عن المبالاة بهم فان قلت بم تعلق
قوله لتنذر قلت بانزل اي انزل اليك لانذرك به او بالنهي لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذلك
اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه
متكل على عصمته فان قلت فما محل ذكرى قلت يحتمل الحركات الثلاث النصب باضمار فعلها
كانه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا لان الذكرى اسم بمعنى التذكير والرفع عطفا على كتاب او
بانه خبر مبتدا محذوف والجر للعطف على محل ان تنذر اي للانذار وللذكرى فان قلت
النهي في قوله فلا يكن متوجه الى الحرج فما وجهه قلت هو من قولهم لا ارينك ههنا اتبعوا
ما انزل اليكم من القران والسنة ولا تتبعوا من دونه اولياء اي ولا تتولوا من دون الله
شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويضلوكم عن دين
الله وما انزل اليكم وامركم باتباعه وعن الحسن يا ابن ادم امرت باتباع كتاب الله وسنة
محمد والله ما نزلت اية الا وهو يحب ان تعلم فيم انزلت وما معناها وقرا مالك بن دينار
ولا تبتغوا من الابتغاء ومن يبتغ غير الاسلام دينا ويجوز ان يكون الضمير في من دونه لما
انزل علي ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء قليلا ما تذكرون حيث تتركون دين
الله وتتبعون غيره وقرى تذكرون بحذف التاء ويتذكرون بالياء وقليلا نصب بتذكرون

ای تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة فجاءها فجاء اهلها بياتا حسنا وبيتة حسنة
وقوله هم قايلون حال معطوفة على بياتا كانه قيل فجاءهم باسنا بايتين او قايلين فان قلت
هل يقدر حذف المضاف الذي هو الاهل قبل قرية او قبل الضمير في اهلكناها قلت انما
يقدر المضاف للحاجة ولا حاجة فان القرية تهلك كما يهلك اهلها وانما قدرناه قبل
الضمير في فجاءها لقوله او هم قايلون فان قلت لا يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو
فما بال قوله هم قايلون قلت قد ر بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج وقال
لو قلت جاءني زيد راجلا او هو فارس او جاءني زيد هو فارس لم يحتج فيه الى واو لان الذ
كر قد عاد على الاول والصحيح انها اذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا
لاجتماع حرفي عطف لان واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل فتقول جاءني زيد
راجلا او هو فارس كلام فصيح وارد على حده واما جاءني زيد هو فارس فخبيث فا
ن قلت فما معنى قوله اهلكناها فجاءها باسنا والاهلاك انما هو بعد مجيء الباس قلت معناه
اردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم الى الصلوة وانما خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت
القيلولة لانهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما اشد وافظع و
قوم لوط اهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة فما كان دعواهم ما كانوا
يدعونه من دينهم ويتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم انا كنا
ظالمين فيما كنا عليه ويجوز فما كان استغاثتهم الا قولهم هذا لانه لا مستغاث من الله
بغيره من قولهم دعواهم يا لكعب ويجوز فما كان دعاؤهم ربهم الا اعترافهم لعلمهم
ان الدعاء لا ينفعهم وان لات حين دعاء فلا يزيدون على ذم انفسهم وتحسرهم على ما كان
منهم ودعواهم نصب خبر لكان وان قالوا رفع اسم له ويجوز العكس فلنسالن الذين
ارسل اليهم ارسل مسند الى الجار والمجرور وهو اليهم ومعناه فلنسالن المرسل اليهم وهم
الامم يسالهم عما اجابوا به رسلهم كما قال ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين و
يسال المرسلين عما اجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم فلنقصن عليهم
على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم بعلم عالمين باحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم
وافعالهم وما كنا غايبين عنهم وعما وجد منهم فان قلت فاذا كان عالما بذلك وكان
يقصه عليهم فما معنى سوالهم قلت معناه التوبيخ والتقريع والتقرير اذا فاهوا به بالسنتهم

وشهد

8

وشهد عليهم انبياؤهم والوزن يومئذ الحق يعني وزن الاعمال والتمييز بين راجحها و خفيفها
ورفعه على الابتداء وخبره يومئذ والحق صفته اي والوزن يوم يسال الله الامم ورسلهم
الوزن الحق اي العدل وقرى القسط واختلف في كيفية الوزن فقيل توزن صحف
الاعمال بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلايق تاكيدا للحجة واظهارا للنصفة و
قطعا للمعذرة كما يسالهم عن اعمالهم فيعترفون بالسنتهم وتشهد بها عليهم ايديهم وارجلهم
وجلودهم وتشهد عليهم الانبياء والملايكة والاشهاد وكما تثبت في صحايفهم فيقروونها
في موقف الحساب وقيل هي عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل فمن ثقلت موازينه
جمع ميزان او موزون اي فمن رجحت اعماله الموزونة التي لها وزن وقدر
وهي الحسنات او ما توزن به حسناتهم وعن الحسن وحق لميزان توضع فيه الحسنات
ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيات ان يخف بما كانوا بآياتنا يظلمون يكذبون بها ظلما
كقوله فظلموا بها مكناكم في الارض جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا ومكناكم فيها واقد
رناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم
والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك والوجه تصريح الياء وعن ابن عامر انه
همز على التشبيه بصحايف ولقد خلقناكم ثم صورناكم يعني خلقنا اباكم آدم طينا
غير مصور ثم صورناه بعد ذلك الا ترى الى قوله ثم قلنا للملايكة اسجدوا لآدم من
الساجدين ممن سجد لآدم لا في ان لا تسجد صلة بدليل قوله ما منعك ان تسجد لما
خلقت بيدي ومثلها لئلا يعلم اهل الكتاب بمعنى ليعلم فان قلت ما فايدة زيادتها
قلت توكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه كانه قيل ليتحقق علم اهل الكتاب وما
منعك ان تحقق السجود وتلزمه نفسك اذ امرتك لان امري لك بالسجود اوجبه عليك ايجابا
وحتمه حتما لا بد لك منه فان قلت لم ساله عن المانع من السجود وقد علم ما منعه قلت
للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره باصله وازدرايه اصل آدم وانه خا
لف امر ربه معتقدا انه غير واجب عليه لما راى ان سجود الفاضل للمفضول خارج من
الصواب فان قلت كيف يكون قوله انا خير منه جوابا لما منعك وانما الجواب ان يقول
منعني كذا قلت قد استانف قصة اخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وبعلة فضله
عليه وهو ان اصله من نار واصل آدم من طين فعلم منها الجواب وزيادة عليه وهي

انكار الامر واستبعاد ان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه يقول من كان على هذه الصفة
كان مستبعدا ان يؤمر بما امر به فاهبط منها من السما التي هي مكان المطيعين المتواضعين
من الملايكة الى الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين فما يكون لك فما يصح
لك ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج انك من الصاغرين من اهل الصغار والهوان على الله وعلى
اوليايه لتكبرك كما يقول للرجل قم صاغرا اذا اهنته وفي ضده قم راشدا وذلك انه لما
اظهر الاستكبار البس الصغار وعن عمر رض من تواضع لله رفع الله حكمته وقال
انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض فان قلت لم اجيب الى
استنظاره وانما استنظر ليفسد عباده ويغويهم قلت لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي
مخالفته من اعظم الثواب وحكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف وانواع
الملاذ والملاهي وما ركب في الانفس من الشهوات ليمتحن بها عباده فبما اغويتني فبسبب
اغوايك اياي لاقعدن لهم وهو تكليفه اياه ما وقع به في الغي ولم يثبت كما ثبتت الملايكة
مع كونهم افضل منه ومن ادم انفسا ومناصب وعن الاصم امرتني بالسجود فحملني الا
نف على معصيتك والمعنى فبسبب وقوعي في الغي لاجتهدن في اغوايهم حتى يفسدوا
بسببي كما فسدت بسببهم فان قلت بم تعلقت البا فان تعلقها بلاقعدن يصد
عنه لام القسم لا تقول والله بزيد لامرن قلت تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره
فبما اغويتني اقسم بالله لاقعدن اي فبسبب اغوايك اقسم ويجوز ان يكون البا للقسم يعني
فاقسم باغوايك لاقعدن وانما اقسم بالاغوا لانه كان تكليفا والتكليف من احسن افعال
الله لكونه تعريضا بسعادة الابد فكان جديرا بان يقسم به ومن تكاذيب المجبرة ما
حكوا عن طاوس انه كان في المسجد الحرام فجا رجل من كبار الفقها يرمى بالقدر فجلس
اليه فقال طاوس تقوموا او تقاموا فقام الرجل فقيل له اتقول هذا لرجل فقيه فقال ابليس افقه
منه قال رب بما اغويتني وهذا يقول انا اغوي نفسي وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم
على اضافة القبايح الى الله سبحانه ان لفقوا الاكاذيب على الرسول والصحابة والتابعين
وقيل ما للاستفهام كانه قيل باي شي اغويتني ثم ابتدا لاقعدن واثبات الالف اذا ادخل
حرف الجر على ما الاستفهامية قليل شاذ واصل الغي الفساد ومنه غوى الفصيل اذا بشم
وابشم فساد لاقعدن لهم صراطك المستقيم لاعترضن لهم على طريق الاسلام كما يعترض

٩

ناس منحطون عن الصلاح ونحوه وما منا الا له مقام معلوم بمعنى وما منا احد الا له مقام وبلوناهم
بالحسنات والسيات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون فينيبون فخلف من بعد المذكورين خلف
وهم الذين كانوا في زمن رسول الله ورثوا الكتاب التورية بقيت في ايديهم بعد سلفهم يقرؤونها
ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون بها ياخذون عرض هذا
الادنى اي حطام هذا الشي الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله هذا الادنى تخسيس وتحقير
والادنى اما من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب واما من دنو الحال وسقوطها وقلتها و
المراد ما كانوا ياخذونه من الرشى في الاحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة ويقولون
سيغفر لنا لا يواخذنا الله بما اخذنا و فاعل سيغفر الجار والمجرور وهو لنا ويجوز ان يكون الا
خذ الذي هو مصدر ياخذون وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الواو للحال اي يرجون المغفرة
وهم مصرون عايدون الى مثل فعلهم غير تايبين وغفران الذنوب لا يصح الا بالتوبة والمصر
لا غفران له الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب يعني قوله في التورية من ارتكب ذنبا عظيما فانه لا
يغفر الا بالتوبة ودرسوا ما فيه في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي
عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه كما ترى وعن مالك بن دينار ياتي على الناس زمان ان
قصروا عما امروا به قالوا سيغفر لنا لم نشرك بالله شيا كل امرهم الى الطمع خيارهم
فيهم المداهنة فهولا من هذه الامة اشباه الذين ذكرهم الله وتلا الاية والدار الاخرة خير
من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشى ومحارم الله وقرى ورثوا الكتاب و الا تقولوا بالتاء
وادارسوا بمعنى تدارسوا وافلا تعقلون بالتا واليا فان قلت ما موقع قوله ان لا يقولوا على الله
الا الحق قلت هو عطف بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق الكتاب الميثاق المذكور في الكتاب
وفيه ان اثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب وافترا على الله وتقول عليه ما ليس بحق
وان فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان ان لا يقولوا مفعولا له ومعناه لئلا يقولوا و
يجوز ان يكون ان مفسرة ولا تقولوا نهيا كانه قيل الم يقل لهم لا تقولوا على الله الا الحق فان
قلت علام عطف قوله ودرسوا ما فيه قلت على الم يوخذ عليهم لانه تقرير فكانه قيل اخذ
عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه والذين يمسكون بالكتاب واقاموا فيه وجهان احدهما
ان يكون مرفوعا بالابتدا وخبره انا لا نضيع اجر المصلحين والمعنى انا لا نضيع اجرهم لان المصلحين
في معنى الذين يمسكون بالكتاب كقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من

احسن عملا والثاني ان يكون مجرورا عطفا على للذين يتقون ويكون قوله انا لا نضيع اعتراضا وقرى
يمسكون بالتشديد وتنصره قراءة ابي والذين مسكوا بالكتاب فان قلت التمسك بالكتاب يشتمل كل
عبادة ومنها اقامة الصلوة فكيف افردت قلت اظهارا لمزية الصلوة لكونها عماد الدين وفارقة
بين الكفر والايمان وقرا ابن مسعود والذين استمسكوا بالكتاب واذ نتقنا الجبل فوقهم قلعناه
ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور ومنه نتق السقا اذا نفضه ليقتلع الزبدة منه والظلة
كل ما اظلك من سقيفة او سحاب وقرى بالطا من اطل عليه اذا اشرف وظنوا انه واقع
بهم وعلموا انه ساقط عليهم وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لغلظها وثقلها فرفع
الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها
والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر
بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون
هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل
ولا شجر ولا حجر الا اهتز ولذلك لا ترى يهوديا تقرا عليه التورية الا اهتز وانغض لها راسه خذوا ما اتيناكم على ارادة القول اي وقلنا خذوا
ما اتيناكم او قائلين خذوا ما اتيناكم من الكتاب بقوة وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا
ما فيه من الاوامر والنواهي ولا تنسوه او واذكروا ما فيه من التعريض للثواب العظيم فارغبوا فيه
ويجوز ان يراد خذوا ما اتيناكم من الاية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم ان
تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة
والانذار لعلكم تتقون ما انتم عليه وقرا ابن مسعود وتذكروا وقرى واذكروا بمعنى وتذكروا
من ظهورهم بدل من بني ادم بدل البعض من الكل ومعنى اخذ ذرياتهم من ظهورهم اخراجهم من
اصلابهم نسلا واشهادهم على انفسهم وقوله الست بربكم قالوا بلى من باب التمثيل والتخييل
ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصايرهم
التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكانه اشهدهم على انفسهم وقررهم
وقال لهم الست بربكم وكانهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك وباب
التمثيل واسع في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب ونظيره قوله عز وجل انما قولنا لشي اذا اردناه ان
نقول له كن فيكون فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين وقوله اذا قالت الانساع
للبطن الحق قالت له ريح الصبا قرقار ومعلوم انه لا قول ثم وانما هو تمثيل وتصوير للمعنى ان تقولوا

تمت كالفنيق المحنق

اذا سكن بعده واختلط المعروف بالانكار

مفعول له اي فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة ان تقولوا يوم القيامة
انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه او كراهة ان تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية
من بعدهم فاقتدينا بهم لان نصب الادلة على التوحيد وما نبهوا عليه قايم معهم فلا عذر لهم في الا
عراض عنه والاقبال على التقليد والاقتدا بالابا كما لا عذر لابايهم في الشرك وادلة التوحيد منصوبة
لهم فان قلت بنو ادم وذرياتهم من هم قلت عنى بني ادم اسلاف اليهود والذين اشركوا بالله
حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله من اخلافهم المقتدين بابايهم
والدليل على انها في المشركين واولادهم قوله او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل والدليل
على انها في اليهود الايات التي عطفت هي عليها والتي عطفت عليها وهي على نمطها واسلوبها وذلك
قوله وسلهم عن القرية واذ قالت امة منهم واذ تاذن ربك واذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم
نبا الذي اتيناه اياتنا افتهلكنا بما فعل المبطلون اي كانوا السبب في شركنا لتاسيسهم
الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة لنا وكذلك ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الايات لهم
ولعلهم يرجعون وارادة ان يرجعوا عن شركهم نفصلها وقرى ذرياتهم على التوحيد وانقوا
لوا بالبا واتل عليهم على اليهود نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها هو عالم من بني اسرايل او
قيل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعورا اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الايات بان كفر
بها ونبذها وراء ظهره فاتبعه الشيطان فلحقه الشيطان وادركه وصار قرينا له او فاتبعه
خطواته وقرى فاتبعه بمعنى فتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين الكافرين روي ان قومه
طلبوا اليه ان يدعو على موسى ومن معه فابى وقال كيف ادعو على من معه الملايكة فالحوا عليه
ولم يزالوا به حتى فعل ولو شينا لرفعناه بها لعظمناه ورفعناه الى منازل الابرار من العلما
بتلك الايات ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا ورغب فيها وقيل مال الى السفالة فان قلت
كيف علق رفعه بمشية الله ولم يعلق بفعله الذي يستحق به الرفع قلت المعنى ولو لزم العمل
بالايات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك ان مشية الله رفعه تابعة للزومه الايات فذ
كرت المشية والمراد ما هي تابعة له ومسببة عنه كانه قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا ترى
الى قوله ولكنه اخلد الى الارض فاستدرك المشية باخلاده الذي هو فعله فوجب ان يكون ولو
شينا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب ان يقال ولو شينا لرفعناه ولكنا
لم نشا فمثله كمثل الكلب فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في اخس

احواله واذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله سوا حمل عليه اى شد عليه وهيج فطرد او
ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك ان ساير الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا هيج منه وحرك
والا لم يلهث والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعًا وكان حق الكلام ان يقال ولو شينا لر
فعناه بها ولكنه اخلد الى الارض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب
موضع فحططناه ابلغ حط لان تمثيله بالكلب في اخس احواله واذلها في معنى ذلك وعن ابن عباس
الكلب منقطع الفواد يلهث ان حمل عليه او لم يحمل عليه وقيل معناه ان وعظته فهو ضال وان تعظه
فهو ضال كالكلب ان طردته فسعى لهث وان تركته على حاله لهث فان قلت ما محل الجملة الشرطية
قلت النصب على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا دايم الذلة لاهثا في الحالتين وقيل لما دعا بلعم على
موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا بايا
تنا من اليهود بعد ما قرأوا نعت محمد رسول الله في التورية وذكر القران المعجز وما فيه وبشروا
الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فاقصص القصص بلعم الذي هو نحو قصصهم لعلهم يتفكرون
فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته وزاغوا شبه زيغه ويعلمون انك علمته من جهة الوحي
فيزدادوا ايقانا بك وتزداد الحجة لزومًا لهم سا مثلا القوم اى مثل القوم او سا اصحاب مثل القوم
وقرا الجحدري سا مثل القوم وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز
الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بايات الله وظلم انفسهم واما ان يكون كلاما منقطعا عن
الصلة بمعنى وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص كانه قيل وخصوا انفسهم
بالظلم لم يتعدها الى غيرها فهو المهتدى حمل على اللفظ واولئك هم الخاسرون حمل على المعنى كثيرا
من الجن والانس هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله انه لا لطف لهم وجعلهم في انهم لا يلقون اذهانهم
الى معرفة الحق ولا ينظرون بعيونهم الى ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم من ايات
الله سماع تدبر كانهم عدموا فهم القلوب وابصار العيون واستماع الاذان وجعلهم لاعراقهم في الكفر
وشدة شكايمهم فيه وانه لا ياتي منهم الا افعال اهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في المو
جبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر رض الى خالد بن الوليد بلغني ان اهل
الشام اتخذوا لكم دلوكا عجن بخمر واني لاظنكم آل المغيرة ذرء النار ويقال لمن كان عريقا في بعض
الامور ما خلق فلان الا لكذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما اقدموا عليه من تكذيب رسول الله
مع علمهم انه النبي الموعود وانهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الايمان يتاتى منهم كانهم خلقوا للنار

اولئك

والاستماع للتدبر

اولئك كالانعام في عدم الفقه والنظر للاعتبار والتدبر بل هم اضل من الانعام عن الفقه والاعتبار
والتدبر اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة وقيل الانعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم
بعض ما تبصره وهولاء اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار ولله الاسماء الحسنى التي هي احسن الاسماء
لانها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا
الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيما يسمونه بغير
الاسماء الحسنى وذلك ان يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا ابا المكارم يا
ابيض الوجه يا نخى او ان يابوا تسميته ببعض اسمائه الحسنى نحو ان يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن
وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ويجوز ان يراد ولله
الاوصاف الحسنى وهي الوصف بالعدل والخير والاحسان وانتفاء شبه الخلق فصفوه بها وذ
روا الذين يلحدون في اوصافه فيصفونه بمشبهة القبايح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في
التشبيه كالروية ونحوها وقيل الحادهم في اسمائه تسميتهم الاصنام الهة واشتقاقهم اللات
من الله والعزى من العزيز لما قال ولقد ذرانا لجهنم كثيرا فاخبر ان كثيرا من الثقلين عاملون
باعمال اهل النار اتبعه قوله وممن خلقنا امة يهدون بالحق وعن النبي ع انه كان يقول اذا
قراها هذه لكم وقد اعطى القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وعنه ع
ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين امنوا من اهل الكتاب وقيل هم العلماء
والدعاة الى الدين الاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد والاستنزال درجة بعد درجة
قال الاعشى فلو كنت في جب ثمانين قامة ورقيت اسباب السماء بسلم ليستدرجنك القول حتى تهره وتعلم اني عنكم غير مفحم
ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه وادرج الكتاب طواه شيئا بعد شيء ودرج القوم
مات بعضهم في اثر بعض ومعنى سنستدرجهم سنستدنيهم قليلا قليلا الى ما يهلكهم ويضاعف عذا
بهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك ان يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما
جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم
ظانين ان مواترة النعم اثرة من الله وتقريب وانما هي خذلان منه وتبعيد فهو استدراج الله
نعوذ بالله منه واملي لهم عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين ان كيدي متين
سماه كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة خذلان ما بصاحبهم
بمحمد ع من جنة من جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون وعن قتادة ان النبي ع علا الصفا

قد علاهم فخذاً فخذاً يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يهوّت الى الصباح
اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض فيما تدلان عليه من عظم الملك والملكوت
الملك وما خلق الله من شيء وفي ما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من اجناس لا يحصرها العدد ولا
يحيط بها الوصف وان عسى ان المخففة من الثقيلة والاصل وانه عسى على ان الضمير ضمير الشان
والمعنى اولم ينظروا في ان الشان والحديث عسى ان يكون قد اقترب اجلهم ولعلهم يموتون عما قريب
فيسارعوا الى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مغافصة الاجل وحلول العقاب ويجوز ان يراد باقتراب
الاجل اقتراب الساعة ويكون من كان التي فيها ضمير الشان فان قلت بم يتعلق قوله فباي
حديث بعده يؤمنون قلت بقوله عسى ان يكون قد اقترب اجلهم كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب
فما لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وباي
حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا قرئ ويذرهم بالياء والنون والرفع على الاستيناف ويذرهم
بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم يسألونك
قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان
ذلك امتحانا منهم مع علمهم ان الله قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش والساعة من الاسماء الغالبة
كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او على العكس لطولها او لا
نها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق ايان بمعنى متى وقيل اشتقاقه من اي فعلان
منه لان معناه اي وقت واي فعل من اويت اليه لان البعض آو الى الكل متساند اليه قاله ابن جني
وابى ان يكون من اين لانه زمان واين مكان وقرأ السلمي إيان بكسر الهمزة مرساها ارساؤها او وقت
ارسائها اي اثباتها واقرارها وكل شيء ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارست السفينة
والمرسى الانجر الذي ترسى به ولا اثقل من الساعة بدليل قوله ثقلت في السموات والارض والمعنى متى
يرسيها الله انما علمها اي علم وقت ارسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به احدا من ملك مقرب ولا نبي
مرسل يكاد يخفيها من نفسه ليكون ذلك ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما اخفى الاجل الخا
ص وهو وقت الموت لذلك لا يجليها لوقتها الا هو اي لا تزال خفية لا يظهر امرها ولا يكشف
خفاء علمها الا هو وحده اذا جاء بها في وقتها بغتة لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها احد من خلقه
لاستمرار الخفاء بها على غيره الى وقت وقوعها ثقلت في السموات والارض اي كل من اهلها من الملائكة
والثقلين اهمه شان الساعة ويوده ان يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه او ثقلت فيها

لان

لان اهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها واهوالها لان كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة
فيها لا تأتيكم الا بغتة الا فجأة على غفلة منكم وعن النبي عليه السلام ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه
والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه كانك حفي عنها
كانك عالم بها وحقيقته كانك بليغ في السؤال عنها لان من بالغ في المسألة عن الشيء والتنقير عنه استحكم
علمه فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه احفاء الشارب واحتفاء البقل استيصاله و
احفى في المسألة اذا الحف وحفي بفلان وتحفى به بالغ في البر به وعن مجاهد استحفيت السؤال
عنها حتى علمت وقرأ ابن مسعود كانك حفي بها اي عالم بها بليغ في العلم بها وقيل عنها متعلق
بيسألونك اي يسألونك عنها كانك حفي اي عالم بها وقيل ان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة
فقل لنا متى الساعة فقيل يسألونك عنها كانك حفي تتحفى بهم فتختصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة و
تزوي علمها عن غيرهم ولو اخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله في اخبارك به لكنت مبلغه القريب
والبعيد من غير تخصيص كسائر ما اوحي اليك وقيل كانك حفي بالسؤال عنها تحبه وتؤثره يعني انك تكره
السؤال عنها لانه من علم الغيب الذي استأثر الله به ولم يؤته احدا من خلقه فان قلت لم كرر يسا
لونك وانما علمها عند الله قلت للتأكيد ولما جاء به من زيادة قوله كانك حفي عنها وعلى هذا تكرير
العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة
ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه العالم بها وانه المختص بالعلم بها قل لا املك هو اظهار للعبودية والا
نتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب اي انا عبد ضعيف لا املك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع
ضر كالمماليك والعبيد الا ما شاء ربي ومالكي من النفع لي والدفع عني ولو كنت اعلم الغيب لكانت
حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لا
يمسني شيء منها ولم اكن غالبا مرة ومغلوبا اخرى في الحروب ورابحا وخاسرا في التجارات
ومصيبا ومخطئا في التدابير ان انا الا عبد ارسلت نذيرا وبشيرا وما من شاني ان اعلم الغيب
لقوم يؤمنون يجوز ان يتعلق بالنذير والبشير جميعا لان النذارة والبشارة انما تنفعان
فيهم او يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير محذوفا اي الا نذير للكافرين وبشير لقوم
يؤمنون من نفس واحدة وهي نفس آدم وجعل منها زوجها وهي حواء خلقها من جسد آدم من ضلع
من اضلاعه او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا ليسكن اليها ليطمئن اليها ويميل و
لا ينفر لان الجنس الى الجنس اميل وبه آنس واذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة ابلغ كما يسكن

الانسان الى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن فذكر بعدما انث في قوله
واحدة منها زوجها ذهابا الى معنى النفس ليبين ان المراد بها ادم ولان الذكر هو الذي يسكن
الى الانثى ويتغشاها فكان التذكير احسن طباقا للمعنى والتغشي كناية عن الجماع وكذلك الغشيان و
الاتيان حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب
والاذى ولم تستثقله كما يستثقلنه فقد تسمع بعضهن تقول في ولدها ما كان اخفه على كبدي
حين حملته فمرت به فمضت به الى وقت ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق وقيل حملت حملا
خفيفا يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت وقرا ابن عباس فاستمرت به وقرا يحيى بن
يعمر فمرت بالتخفيف وقرا غيره فمارت به من المرية كقوله افتمرونه وافتمارونه ومعناه
فوقع في نفسها ظن الحمل وارتابت به فلما اثقلت حان وقت ثقل حملها كقولك اقربت وقرئ
اثقلت على البناء للمفعول اي اثقلها الحمل دعوا الله ربهما دعا ادم وحواء ربهما ومالك امرهما
الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجا اليه فقالا لئن اتيتنا لئن وهبت لنا صالحا ولدا سويا قد
صلح بدنه وبرئ وقيل ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح والجودة والضمير في اتيتنا ولنكو
نن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما فلما اتاهما ما طلباه من الولد الصالح السوي جعلا
له شركا جعل اولادهما له شركا على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك
فيما اتاهما اي اتى اولادهما وقد دل على ذلك بقوله فتعالى الله عما يشركون حيث جمع الضمير
وادم وحواء بريان من الشرك ومعنى اشراكهم فيما اتاهم الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى
وعبد مناف وعبد شمس وما اشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ووجه اخر
وهو ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله وهم ال قصي الا ترى الى قوله في
قصة ام معبد فيا لقصي ما زوى الله عنكم به من فخار لا يبارى وسودد ويراد هو الذي خلقكم
من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما اتاهما ما طلبا من الو
لد الصالح السوي جعلا له شركا فيما اتاهما حيث سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف و
عبد العزى وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا
بهما في الشرك وهذا تفسير حسن لا اشكال فيه وقرئ شركا اي ذوي شرك وهم الشركا او
احدثا لله اشراكا في الولد اجريت الاصنام مجرى اولي العلم في قوله وهم يخلقون بناء على اعتقا
دهم فيها وتسميتهم اياها الهة والمعنى ايشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله وهم يخلقون

مناة

لان الله خالقهم او لا يقدر على اختلاق شيء لانه جماد وهم يخلقون لان عبدتهم يختلقونهم فهم اعجز
من عبدتهم ولا يستطيعون لهم لعبدتهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما
يعتريها من الحوادث بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم وان تدعوهم وان
تدعوا هذه الاصنام الى الهدى اي الى ما هو هدى ورشاد والى ان يهدوكم والمعنى وان تطلبوا
منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم
الله ويدل عليه قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين سواء عليكم ادعوتموهم ام
انتم صامتون عن دعائهم في انه لا فلاح معهم فان قلت هلا قيل ام صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية
موضع الفعلية لانهم كانوا اذا حزبهم امر دعوا الله دون اصنامهم كقوله واذا مس الانسان ضر
دعا ربه فكانت حالهم المستمرة ان يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل ان دعوتموهم لم تفترق
الحال بين احداثكم دعاءهم وبين ما انتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم ان الذين تدعون من
دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم الهة من دون الله عباد امثالكم وقوله عباد امثالكم
استهزاء بهم اي قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم لا
تفاضل بينكم ثم ابطل ان يكونوا عبادا امثالهم فقال الهم ارجل يمشون بها وقيل عباد مثا
لكم مملوكون امثالكم وقرا سعيد بن جبير ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم
والمعنى ما الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية
قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون جميعا انتم وشركاؤكم فلا تنظرون
فاني لا ابالي بكم ولا يقول هذا الا واثق بعصمة الله وكانوا قد خوفوه الهتهم فامر ان يخاطبهم
بذلك كما قال في قوم هود له ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء فقال لهم اني بريء مما تشر
كون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ان وليي الله اي ناصري عليكم الله الذي
نزل الكتاب الذي اوحى الي كتابا به واعزني برسالته وهو يتولى الصالحين ومن عادته
ان ينصر الصالحين من عباده وانبيائه ولا يخذلهم ينظرون اليك يشبهون الناظرين اليك لا
نهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه وهم لا يبصرون وهم لا يد
ركون المرئي العفو ضد الجهد اي خذ ما عفا لك من افعال الناس واخلاقهم وما اتى منهم وتسهل
من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله ع يسروا ولا
تعسروا قال خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب وقيل خذ الفضل

قلت

ن

وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول اية الزكوة فلما نزلت امران يأخذهم بها طوعا او
كرها والعرف المعروف والجميل من الافعال واعرض عن الجاهلين ولا تكافي السفهاء بمثل سفههم
ولا تمارهم واحلم عنهم واغض على ما يسوءك منهم وقيل لما نزلت الاية سال جبريل فقال لا ادري
حتى اسال ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن
ظلمك وعن جعفر الصادق امر الله نبيه بمكارم الاخلاق وليس في القران اية اجمع لمكارم الاخلاق
منها واما ينزغنك من الشيطان نزغ واما ينخسنك منه نخس بان يحملك بوسوسته على خلاف ما
امرت به فاستعذ بالله ولا تطعه والنزغ والنسغ الغرز والنخس كانه ينخس الناس حين يغريهم على
المعاصي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده وروي انها لما نزلت قال رسول الله صلعم كيف يا رب
والغضب فنزل واما ينزغنك ويجوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول ابي بكر رض ان لي شيطانا
يعتريني طيف من الشيطان لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا قال اني
الم بك الخيال يطيف وهو تخفيف طيّف فيعل من طاف يطيف كلين او من طاف يطوف كهين وقرى
طايف وهو يحتمل الامرين ايضا وهذا تاكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند
نزغ الشيطان وان المتقين هي عادتهم اذا اصابهم ادنى نزغ من الشيطان والمام بوسوسته تذكروا
ما امر الله به ونهى عنه فابصروا السداد ودفعوا ما وسوس به اليهم ولم يتبعوه انفسهم واما اخوان
الشياطين الذين ليسوا بمتقين فان الشياطين يمدونهم في الغي اي يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم
وقرى يمدونهم من الامداد ويمادونهم بمعنى يعاونونهم ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن اغوايهم
حتى يصروا ولا يرجعوا وقوله واخوانهم يمدونهم كقوله قوم اذا الخيل جالوا في كواثبها في ان الخبر
جار على غير ما هو له ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين فيكون
الخبر جاريا على ما هو له والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا فان قلت لم جمع الضمير
في اخوانهم والشيطان مفرد قلت المراد به الجنس كقوله اولياؤهم الطاغوت اجتبى الشيء بمعنى جباه
لنفسه اي جمعه كقولك اجتمعه او جبي اليه فاجتباه اي اخذه كقولك جليت اليه العروس فاجتلاها
ومعنى لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها افتعالا من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا
الا افك مفترى او هلا اخذتها منزلة عليك مقترحة قل انما اتبع ما يوحى الي ولست بمفتعل للايات
اولست بمقترح لها هذا بصائر هذا القران بصائر من ربكم اي حجج بينة يعود المؤمنون بصراء
بعد العمى او هو بمنزلة بصائر القلوب واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا ظاهره وجوب الاستماع

والانصات

والانصات وقت قراءة القران في صلوة وغير صلوة وقيل كانوا يتكلمون في الصلوة فنزلت ثم
صارت سنة في غير الصلوة ان ينصت القوم اذا كانوا في مجلس يقرا فيه القران وقيل معناه واذا تلا
عليكم الرسول القران عند نزوله فاستمعوا له وقيل معنى فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه
واذكر ربك في نفسك هو عام في الاذكار من قراءة القران والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك
تضرعا وخيفة متضرعا وخايفا ودون الجهر ومتكلما كلاما دون الجهر لان الاخفاء ادخل
في الاخلاص واقرب الى حسن التفكر بالغدو والاصال لفضل هذين الوقتين او اراد الدوام ومعنى
بالغدو باوقات الغدو وهي الغدوات وقرى والايصال من آصل اذا دخل في الاصيل كاقصر
واعتم وهو مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه
ان الذين عند ربك هم الملايكة ومعنى عند دنو الزلفة والقرب من رحمة الله وفضله لتو
فرهم على طاعته وابتغاء مرضاته وله يسجدون ويختصونه بالعبادة ولا يشركون به غيره وهو
تعريض بمن سواهم من المكلفين عن رسول الله صلعم من قرا سورة الاعراف جعل الله يوم القيامة
بينه وبين ابليس سترا وكان ادم شفيعا له يوم القيامة

سورة الانفال مدنية ست وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم النفل الغنيمة لانها من فضل الله وعطايه قال
لبيد ان تقوى ربنا خير نفل والنفل ما ينفله الغازي اي يعطاه زايدا على سهمه من المغنم
وهو ان يقول الامام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه او قال لسرية ما اصبتم
فهو لكم او فلكم نصفه او ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الوفاء الامام بما وعد منه وعند الشافعي
في احد قوليه لا يلزم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنايم بدر وفي قسمتها فسالوا
رسول الله كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها اللمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا فقيل له قل
لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشا ليس لاحد غيره فيها حكم وقيل شرط
لمن كان له بلاء في ذلك اليوم ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين
فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقال الشيوخ
والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها ان انهزمتم وقالوا
لرسول الله المغنم قليل والناس كثير وان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت
وعن سعد بن ابي وقاص قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص واخذت
سيفه فاعجبني فجئت به الى رسول الله صلعم فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي

قبض من الغنايم — ابخ ؟

هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ
سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى جاني رسول الله وقد انزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك سالتني
السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا يا معشر
اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله لرسول الله
فقسمه بين المسلمين على السوا وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وقرا ابن
محيصن يسالونك علنفال بحذف الهمزة والقا حركتها على اللام وادغام نون عن في اللام وقرا
ابن مسعود يسالونك الانفال اي يسالك الشبان ما شرطت لهم من الانفال فان قلت ما معنى الجمع بين
ذكر الله والرسول في قوله قل الانفال لله والرسول قلت معناه ان حكمها مختص بالله ورسوله يامر الله
بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول امر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى راي احد
والمراد ان الذي اقتضته حكمة الله وامر به رسوله ان تواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ
الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية ولا يستاثروا بما شرط لهم فانهم ان فعلوا لم يومن
ان يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب والتصافي فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متآخين
في الله واصلحوا ذات بينكم وتآسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطا كان
الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنايمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم
على بعض فان قلت ما حقيقة ذات بينكم قلت احوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال حتى تكون احوال
الفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وهي مضمراتها لما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها
ذات البين كقولهم اسقني ذا انايك يريدون ما في الانا من الشراب وقد جعل التقوى واصلاح
ذات وطاعة الله ورسوله من لوازم الايمان وموجباته ليعلمهم ان كمال الايمان موقوف على
التوفر عليها ومعنى قوله ان كنتم مومنين ان كنتم كاملي الايمان واللام في قوله انما المومنون
اشارة اليهم اي انما الكاملون في الايمان الذين من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله اوليك
هم المومنون حقا وجلت قلوبهم فزعت وعن ام الدردا الوجل في القلب كاحتراق السعفة
اما تجد له قشعريرة قال بلى قالت فادع الله فان الدعا يذهبه يعني فزعت لذكره استعظاما
له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله ثم
تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله لان ذلك ذكر رحمته ورافته وثوابه وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او
يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع وفرق وجلت بالفتح وهي لغة نحو وبق في وبق وفي قراة

الكاملو الايمان ام

رق النحل

مرقت

عبد الله فرقت زادتهم ايمانا ازدادوا بها يقينا وطمانينة نفس لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول
عليه واثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن ابي هريرة الايمان سبع وسبعون شعبة
اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحيا شعبة من الايمان
وعن عمر بن عبد العزيز ان للايمان سننا وفرايض وشرايع فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم
يستكملها لم يستكمل الايمان وعلى ربهم يتوكلون ولا يفوضون امورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا
يرجون الا اياه جمع بين اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح من
الصلوة والصدقة حقا صفة للمصدر المحذوف اي اوليك هم المومنون ايمانا حقا او هو مصدر
موكد للجملة التي هي اوليك هم المومنون كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وعن الحسن ان
رجلا ساله امومن انت قال الايمان ايمانان فان كنت تسالني عن الايمان بالله وملايكته وكتبه
ورسله واليوم الاخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مومن وان كنت تسالني عن قوله
انما المومنون فوالله لا ادري امنهم انا ام لا وعن الثوري من زعم انه مومن بالله حقا ثم لم يشهد
انه من اهل الجنة فقد امن بنصف الاية وهذا الزام منه يعني كما لا يقطع بانه من اهل ثواب المومنين
حقا فلا يقطع بانه مومن حقا وبهذا تعلق من يستثني في الايمان وكان ابو حنيفة ممن لا
يستثني فيه وحكي عنه انه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك قال اتباعا لابرهيم في قوله والذي
اطمع ان يغفر لي فقال هلا اقتديت به في قوله اولم تومن قال بلى درجات شرف وكرامة
وعلو منزلة ومغفرة وتجاوز لسياتهم ورزق كريم نعيم الجنة يعني لهم منافع حسنة دايمة
على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب كما اخرجك ربك فيه وجهان احدهما ان يرتفع محل الكاف على انه
خبر مبتدا محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهة ما رايت من
تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب والثاني ان ينتصب على انه صفة مصدر الفعل
المقدر في قوله الانفال لله والرسول اي الانفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا
مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون من بيتك يريد بيته بالمدينة او المدينة
نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه بالحق اي اخراجا
ملتبسا بالحكمة والصواب الذي لا محيد عنه وان فريقا من المومنين لكارهون في موضع الحال
اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون
راكبا منهم ابو سفين وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله فاخبر المسلمين فاعجبهم

اي حق كمال ايمانهم حقا

تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة
يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا
وقد رأت اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رايت عجبا رايت كان ملكا
نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك
الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبأوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج
ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت
طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور و
نشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا
لم يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم
يوما في السنة ونزل جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا
فاستشار النبي ع اصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فا
لعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله ثم ردد
عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير
ودع العدو فقام عند غضب النبي ع ابو بكر وعمر رض فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر
امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو
يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب
انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما
دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم
قالوا له حين بايعوه على العقبة انا براء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا
فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه اباءنا ونساءنا فكان النبي ع يتخوف ان لا يكون الانصار
ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول
الله قال اجل قال قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهو
دنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت
بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر
عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول

اي رمى بها الى فوق

اي شتمناه

الان ع

الله وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين
والله لكاني انظر الى مصارع القوم وروي انه قيل لرسول الله حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها
شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين
وقد اعطاك ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المؤمنين لكارهون والحق
الذي جادلوا فيه رسول الله تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير بعد ما تبين بعد اعلام رسول الله
بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتاهب وذلك
لكراهتهم القتال ثم شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة بحال من
يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك
فيها وكان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وروي انه ما كان فيهم الا فارسان اذ منصو
ب باضمار اذكر وانها لكم بدل من احدى الطائفتين والطائفتان العير والنفير وغير ذات الشوكة
العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم والشوكة
الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا لشباها ومنها قولهم شاكي السلاح اي تتمنون
ان تكون لكم العير لانها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة الاخرى ان
يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما امر الملائكة من نزولهم
للنصرة وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر والدابر الآخر فاعل من دبر اذا ادبر ومنه
دابرة الطائر وقطع الدابر عبارة عن الاستيصال يعني انكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف
الامور وان لا تلقوا ما يرزاكم في ابدانكم واحوالكم والله عز وعلى يريد معالي الامور وما يرجع الى
عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين وشتان ما بين المرادين ولذلك
اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم واعزكم واذلهم وحصل
لكم ما لا تعارض ادناه العير وما فيها وقرئ بكلمته على التوحيد فان قلت بم يتعلق قوله ليحق الحق قلت
بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله الا لهما وهو اثبات الاسلام واظها
ره وابطال الكفر ومحقه فان قلت اليس هذا تكريرا قلت لا لان المعنيين متباينان وذلك ان الاول
تمييز بين الارادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم
عليها وانه ما نصرهم ولا خذل اولئك الا لهذا الغرض الذي هو سيد الاغراض ويجب ان يقدر المحذوف
متاخرا حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه المعنى وقيل قد تعلق بيقطع فان قلت بم تعلق اذ

قيل ع

في قوله ان يحق الحق ويحق الحق

تستغيثون قلت هو بدل من اذ يعدكم الله وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما
علموا انه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون اى رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين
اغثنا وعن عمر رضه ان رسول الله نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثماية فاستقبل القبلة
ومد يديه يدعو اللهم انجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض فما زال كذلك
حتى سقط رداؤه فاخذ ابو بكر فالقاه على منكبيه والتزمه من ورايه وقال يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك
فانه سينجز لك ما وعدك انى ممدكم اصله بانى ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله
وعن ابى عمرو انه قرا انى ممدكم بالكسر على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال لان
الاستجابة من القول فان قلت هل قاتلت الملئكة يوم بدر قلت اختلف فيه فقيل نزل جبريل فى
خمسماية ملك على الميمنة وفيها ابو بكر وميكائيل فى خمسماية على الميسرة وفيها على بن ابى طالب
فى صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمايم بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت وقيل
قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابى جهل انه قال لابن مسعود من
اين كان ذلك الصوت الذى كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملئكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا
انتم وروى ان رجلا من المسلمين بينا هو يشتد فى اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط
فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصارى رسول الله فقال
صدقت ذاك من مدد السما وعن ابى داود المازنى تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم
بدر فوقع راسه بين يدى قبل ان يصل اليه سيفى وقيل لم تقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد
ويثبتون المومنين والا فملك واحد كاف فى اهلاك اهل الدنيا كلهم فان جبريل اهلك بريشة من
جناحه مداين قوم لوط واهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وقرى مردفين بكسر
الدال وفتحها من قولك ردفه اذا تبعه ومنه قوله تعالى ردف لكم بعض الذى تستعجلون بمعنى
ردفكم واردفته اياه اذا اتبعته ويقال اردفته كقولك اتبعته اذا جيت بعده فلا يخلو المكسور الدال
من ان يكون بمعنى متبعين او متبعين فان كان بمعنى متبعين فلا يخلو من ان يكون بمعنى متبعين
بعضهم بعضا او متبعين بعضهم لبعض او بمعنى متبعين اياهم المومنين اى يتقدمونهم فيتبعونهم
انفسهم او متبعين لهم يشيعونهم ويقدمونهم بين ايديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على اعينهم وحفظهم
او بمعنى متبعين انفسهم ملايكة اخرين او متبعين غيرهم من الملايكة ويعضد هذا الوجه
قوله تعالى فى سورة ال عمران بثلثة الاف من الملايكة منزلين بخمسة الاف من الملايكة مسومين ومن

قراء

قراء مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين او متبعين وقرى مردفين بكسر الرا وضمها وتشديد
الدال واصله مرتدفين اى مترادفين اى متبعين من ارتدفه فادغمت تاء الافتعال فى الدال
فالتقى ساكنان فحركت الرا بالكسر على الاصل او على اتباع الدال وبالضم على اتباع الميم وعن السدى
بالاف من الملايكة على الجمع ليوافق ما فى سورة ال عمران فان قلت فبم يعتذر لمن قرا على التوحيد
ولم يفسر المردفين بارداف الملايكة ملايكة اخرين والمردفين بارتدافهم غيرهم قلت بان
المراد بالالف من قاتل منهم او الوجوه منهم الذين من سواهم اتباع لهم فان قلت الام يرجع الضمير
وما جعله قلت الى قوله انى ممدكم لان المعنى فاستجاب لكم بامدادكم فان قلت ففى من قرا با
الكسر قلت الى قوله انى ممدكم لانه مفعول القول المضمر فهو فى معنى القول ويجوز ان يرجع الى
الامداد الذى يدل عليه ممدكم الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبنى اسرايل يعنى
انكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم فكان الامداد بالملايكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم
وربطا على قلوبكم وما النصر الا من عند الله يريد ولا تحسبوا النصر من الملئكة فان الناصر هو الله
لكم وللملايكة او وما النصر بالملايكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله
اذ يغشيكم بدل ثان من اذ يعدكم او منصوب بالنصر او بما فى من عند الله من معنى الفعل او بما
جعله الله او باضمار اذكر وقرى يغشيكم بالتخفيف والتشديد ونصب النعاس والضمير لله وامنة
مفعول له فان قلت اما وجب ان يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا قلت بلى ولكن لما كان
معنى يغشاكم النعاس تنعسون انتصب امنة على ان النعاس والامنة لهم والمعنى اذ تنعسون
امنة بمعنى امنا اى لامنكم ومنه صفة لها اى امنة حاصلة لكم من الله فان قلت يغشيكم النعاس
فتنعسون امنا فعلى غير هذه القراة قلت يجوز ان يكون الامنة بمعنى الايمان اى يغشيكم ايمانا
منه او على فان قلت هل يجوز ان ينتصب على ان الامنة للنعاس الذى هو فاعل يغشاكم اى
يغشاكم النعاس لامنه على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازى وهو لاصحاب النعاس على
الحقيقة او على انه انامكم فى وقت كان من حق النعاس فى مثل ذلك الوقت المخوف ان لا يقدم
على غشيانكم وانما غشيكم امنة حاصلة له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل قلت
لا تبعد فصاحة القران عن احتماله وله فيه نظاير وقد الم به من قال يهاب النوم ان يغشى عيونا تهاب
بل فهو نفار شرود وقرى امنة بسكون الميم ونظير امن امنة حيى حيوة ونحو امن امنة رحم
رحمة والمعنى ان ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما طامن الله قلوبهم وامنهم رقدوا

صاحب الكشاف

وعن ابن عباس النعاس في القتال امنة من الله وفي الصلوة وسوسة من الشيطان وينزل قرئ بالتخفيف والتثقيل
وقرا الشعبي ما ليطهركم به قال ابن جني ما موصولة وصلتها حرف الجر بما جره فكانه قال ما للطهور و
رجز الشيطان وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش وقيل الجنابة لانها من تخييله وقرئ رجس الشيطان
وذلك ان ابليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء ونزل المؤمنون في كثيب اعفر تسوخ فيه
الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم فقال لهم انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم
تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم
الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة
فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله ع
واصحابه الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي كان
بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس والضمير في
به للماء ويجوز ان يكون للربط لان القلب اذا تمكن فيه الصبر والجراة ثبتت القدم في مواطن القتال
اذ يوحي يجوز ان يكون بدلا ثانيا من اذ يعدكم وان تنصب بيثبت اني معكم مفعول يوحي وقرئ
اني بالكسر على ارادة القول او على اجراء يوحي مجرى يقول كقوله اني ممدكم والمعنى اني معينكم على التثبيت
فثبتوهم وقوله سالقي فاضربوا يجوز ان يكون تفسيرا لقوله اني معكم فثبتوا ولا معونة اعظم من القاء
الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية النصرة ويجوز ان يكون
غير تفسير وان يراد بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال
وان يظهروا ما يتيقنون به انهم ممدون بالملائكة وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون
وجهه فياتي ويقول اني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين
فيقول ابشروا فان الله ناصركم لانكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه وقرئ الرعب بالتثقيل فوق الا
عناق اراد اعالي الاعناق التي هي المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها حزا وتطييرا للرو
وس وقيل اراد الرؤوس لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام قال واضرب هامة البطل المشيح غشيته
وهو في حاوا باسله عضبا اصاب سواء الراس فانفلقا والبنان الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا
المقاتل والشوى لان الضرب اما واقع على مقتل او غير مقتل فامرهم بان يجمعوا عليهم النوعين معا و
يجوز ان يكون قوله سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب الى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا الذين امنوا
تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كانه قال قولوا لهم قولي سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب كانهم قالوا

١٨

كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قولي سالقي فالضاربون على هذا هم المؤمنون ذلك اشارة الى ما اصابهم
من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله الرفع على الابتداء وبانهم خبره اي ذلك العقاب وقع عليهم
بسبب مشاقتهم والمشاقة مشتقة من الشق لان كلا المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه وسئلت
في المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت لان هذا في عدوة وذاك في عدوة كما قيل المخاصمة والمشاقة
لان هذا في خصم اي في جانب وذاك في خصم وهذا في شق وذاك في شق والكاف في ذلك
لخطاب الرسول او لخطاب كل احد منكم وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحل ذلكم الرفع
على ذلكم العقاب او العقاب ذلكم فذوقوه ويجوز ان يكون نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه كقولك
زيدا فاضربه وان للكافرين عطف على ذلكم في وجهيه او نصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى
ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الاجل الذي لكم في الاخرة فوضع الظاهر موضع الضمير وقرا
الحسن وإن للكافرين بالكسر زحفا حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته
كانه يزحف اي يدب دبيبا من زحف الصبي اذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر والجمع
زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان تدانوهم في العدد
او تساووهم او حال من الفريقين اي اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم او حال من المؤمنين كانهم
اشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر
الفا وتقدمة نهي لهم عن الفرار يومئذ وفي قوله ومن يولهم يومئذ امارة عليه الا متحرفا
لقتال هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو باب من خدع الحرب ومكا
يدها او متحيزا او منحازا الى فئة الى جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وعن
ابن عمر رض خرجت سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت
يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى
المدينة الى عمر رض فقال يا امير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر انا فئتك وعن
ابن عباس ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر فان قلت بم انتصب الا متحرفا قلت على الحال والا
لغو او على الاستثناء من المولين اي ومن يولهم الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا وقرا الحسن دبره بالسكون
ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لانه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز لما كسروا اهل مكة وقتلوا واسروا
اقبلوا على التفاخر فكان القائل يقول قتلت واسرت ولما طلعت قريش قال رسول الله ع هذه قريش
قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسالك ما وعدتني فاتاه جبريل فقال خذ

قبضةً من ترابٍ فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلي رض اعطني قبضةً من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المومنون يقتلونهم ويأسرونهم فقيل لهم فلم تقتلوهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذي انزل الملائكة والقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوّى قلوبكم واذهب عنها الفزع والجزع وما رميت انت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى يعني ان الرمية التي رميتها لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ اثرها الا ما يبلغه اثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث اثرت ذلك الاثر العظيم فاثبت الرمية لرسول الله لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها الذي لا يطيقه البشر فعل الله تعالى وكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكانها لم توجد من الرسول صلعم اصلاً وقرى ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده وليبلي المومنين وليعطيهم بلاءً حسنا عطاءً جميلا قال زهير فابلاهما خير البلاء الذي يبلو والمعنى وللاحسان الى المومنين فعل ما فعل وما فعل ذلك الا لذلك ان الله سميع لدعائهم عليم باحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع اي الغرض ذلكم وان الله موهن معطوف على ذلكم يعني ان الغرض ابلاء المومنين وتوهين كيد الكافرين وقرى موهن بالتشديد وقرى على الاضافة وعلى الاصل الذي هو التنوين والاعمال ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اقرانا للضيف واوصلنا للرحم وافكنا للعاني ان كان محمد حقاً فانصره وان كنا على حق فانصرنا وروى ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم اينا اهجر واقطع للرحم فاحنه اليوم اي فاهلكه وقيل ان تستفتحوا خطاب للمومنين وان تنتهوا للكافرين يعني وان تنتهوا عن عداوة رسول الله فهو خير لكم واسلم وان تعودوا للمحاربة نعد لنصرته عليكم وان الله قرى بالفتح على ولان الله معين المومنين كان ذلك وقرى بالكسر وهذه اوجه ويعضدها قراءة ابن مسعود والله مع المومنين وقرى ولن يغني عنكم بالياء للفصل ولا تولوا قرى بطرح احدى التائين وادغامها والضمير في عنه لرسول الله لان المعنى واطيعوا الرسول لله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول فقد اطاع الله فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان ويجوز ان يرجع الى الامر بالطاعة اي ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعونه او ولا تولوا عن رسول الله ولا تخالفوه وانتم تسمعون اي تصدقون

ای قبحت شاهت وجوه

وروى انهم قالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين[illegible] على حق

لانكم مومنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا اي ادعوا السماع وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق واشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال ان شر الدواب اي ان شر من يدب على وجه الارض او ان شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها ولو علم الله في هولاء الصم البكم خيرا اي انتفاعا باللطف لاسمعهم للطف بهم حتى يسمعوا اسماع المصدقين ثم قال ولو اسمعهم لتولوا يعني لو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم الطافه او لو لطف بهم فصدقوا لارتدوا وبعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن اهل الكتاب اذا دعاكم وحد الضمير ايضا كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله كاستجابته وانما يذكر احدهما مع الآخر للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض وروى ابو هريرة ان النبي عم مر على باب ابي بن كعب فناداه وهو في الصلاة فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي فقال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني الا اجبتك وفيه قولان احدهما ان هذا مما اختص به رسول الله والثاني ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير واذا وقع مثله للمصلي فله ان يقطع صلوته لما يحييكم من علوم الديانات والشرايع لان العلم حيوة كما ان الجهل موت و لبعضهم لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم في القصاص حيوة وقيل للشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يعني انه يميته فيفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص القلب ومعالجة ادوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة واخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله واعلموا انكم اليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة وقيل معناه ان الله يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله بالخوف امنا وبالامن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جائز على الله تعالى فاما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من افعال القلوب فلا والمجبرة على انه يحول بين المرء والايمان اذا كفر وبينه وبين الكفر اذا امن تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل معناه انه يطلع على كل ما يخطره

لزم

المر باله لا يخفى عليه شي من ضمايره فكانه بينه وبين قلبه وقرى بين المر بتشديد الرا ووجهه
انه قد حذف الهمزة والقى حركتها على الرا كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت
بعمر فتنة ذنبا قيل هو اقرار المنكر بين اظهرهم وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله لا
تصيبن لا يخلو من ان يكون جوابا للامر او نهيا بعد امر او صفة لفتنة فاذا كانت جوابا فالمعنى
ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى ان علما بني اسرائيل نهوا
عن المنكر تعذيرا فعمهم الله بالعذاب واذا كانت نهيا بعد امر فكانه قيل واحذروا ذنبا او
عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فتصيب العقاب او اثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة وكذلك
اذا جعلته صفة على ارادة القول كانه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن ونظيره قوله حتى
اذا جن الظلام واختلط جاوا بمذق هل رايت الذيب قط اى بمذق مقول فيه هذا القول لانه
سمار فيه لون الورقة التي هي لون الذيب ويعضد المعنى الاخير قراة ابن مسعود لتصيبن على
جواب القسم المحذوف وعن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة وزبير وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير
نزلت فينا وقراناها زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن السدي نزلت في
اهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل وروي ان الزبير كان يساير النبي ع يوما اذ اقبل علي رض فضحك اليه
الزبير فقال رسول الله كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله بابي انت وامي اني احبه كحبي لولدي
او اشد حبا قال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله فان قلت كيف جاز ان يدخل النون المؤكدة في
جواب الامر قلت لان فيه معنى النهي اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك فلذلك جاز لا يطرحنك ولا
تصيبن ولا يحطمنكم فان قلت فما معنى من في قوله الذين ظلموا منكم قلت التبعيض على الوجه
الاول والتبيين لان المعنى لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لان الظلم اقبح منكم من سائر الناس اذ انتم نصب
على انه مفعول به مذكور لا ظرف اى اذكروا وقت كونكم اقلة اذلة مستضعفين في الارض ارض
مكة قبل الهجرة يستضعفكم قريش تخافون ان يتخطفكم الناس لان الناس كانوا جميعا لهم اعداء منا
بين مضادين فاواكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر
ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان
هذا الحي من العرب اذل الناس واشقاهم عيشا واعراهم جلدا وابينهم ضلالا يوكلون ولا ياكلون فمكن
الله لهم في البلاد ووسع لهم في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا معنى الخون النقص كما ان معنى الوفاء
التمام ومنه تخونه اذا انتقصه ثم استعمل في ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل في شي فقد ادخلت

يقصر بالنون في النهي

اى لبن قليل خلط بالماء

على

٢٠

سبقونا اليه خاطبوا به لاجلهم ليسمعوه اى ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله وقتاله بالدخول
في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف لهم من العداوة وان يعودوا لقتاله فقد مضت سنة الاولين
منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر او قد مضت سنة الذين تحزبوا على انبيائهم من الامم فدمروا
فليتوقعوا مثل ذلك ان لم ينتهوا وقيل معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر واسلموا غفر لهم ما قد سلف
لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه قوله ع الاسلام يجب ما قبله
وقالوا الحربي اذا اسلم لم تبق عليه تبعة قط واما الذمي فلا يلزمه قضاء حقوق الله وتبقى عليه
حقوق الادميين وبه احتج ابو حنيفة في ان المرتد اذا اسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة
في حال الردة وقبلها وفسر وان يعودوا بالارتداد وقرى يغفر على ان الضمير لله تعالى وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة الى ان لا يوجد فيهم شرك قط ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم كل دين باطل
ويبقى فيهم دين الاسلام وحده فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما يعملون بصير يثيبهم على
توبتهم واسلامهم وقرى بالتاء فيكون المعنى فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة الى
دينه والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام بصير يجازيكم عليه احسن الجزاء وان تولوا ولم
ينتهوا فان الله موليكم اى ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته انما غنمتم ما موصولة ومن
شيء بيانه قيل من شيء حتى الخيط والمخيط فان لله مبتدا خبره محذوف تقديره فحق او فواجب
ان لله خمسه وروى الجعفي عن ابي عمرو فان لله بالكسر وتقويه قراة النخعي فلله خمسه والمشهورة
اكد واثبت للايجاب كانه قيل فلابد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به والتفريط فيه من
حيث انه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما اشبه
ذلك كان اقوى لايجابه من النص على واحد وقرى خمسه بالسكون فان قلت كيف قسمة الخمس
قلت عند ابي حنيفة انها كانت في عهد رسول الله على خمسة اسهم سهم لرسول الله وسهم لذوي
قرباه من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة والمظا
هرة لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم انهما قالا لرسول الله هولاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر
فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم
بمنزلة واحدة فقال ع انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شي
واحد وشبك بين اصابعه وثلثة اسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل واما بعد رسول الله
فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء ولا

تعملون م

يعطى اغنياوهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل واما عند الشافعى فيقسم على خمسة اسهم
سهم لرسول الله يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح
ونحو ذلك وسهم لذوى القربى من اغنيائهم وفقرائهم تقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقى
للفرق الثلث وعند مالك بن انس الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان راى قسمه بين هولاء
وان راى اعطاه بعضهم دون بعض وان راى غيرهم اولى واهم فغيرهم فان قلت ما معنى ذكر الله
وعطف الرسول وغيره عليه قلت يحتمل ان يكون معنى لله وللرسول لرسول الله كقوله والله ورسوله
احق ان يرضوه وان يراد بذكره ايجاب سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه القرب وان يراد
بقوله فان لله خمسه ان من حق الخمس ان يكون متقربا به اليه لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه
الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وجبريل وميكال فعلى الاحتمال الاول مذهب الامامين وعلى
الثانى ما قال ابو العالية انه يقسم على ستة اسهم سهم لله تعالى يصرف الى رتاج الكعبة وعنه
كان رسول الله ع ياخذ الخمس فيضرب بيده فيه فياخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة وهو سهم الله تعالى
ثم يقسم ما بقى على خمسة وقيل ان سهم الله لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك بن انس وعن ابن
عباس رض انه كان على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو بكر الخمس على
ثلاثة وكذلك روى عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروى ان ابا بكر رض منع بنى هاشم الخمس وقال
انما لكم ان يعطى فقيركم وتزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فاما الغنى منكم فهو بمنزلة ابن
سبيل غنى لا يعطى من الصدقة شيئا ولا يتيم موسر وعن زيد بن على رض كذلك قال ليس لنا ان نبنى منه
قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل الخمس كله وعن على رض انه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى
والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن فى سهم رسول الله انه لولى الامر من بعده وعن الكلبى
انها نزلت ببدر وقال الواقدى كان الخمس فى غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام
للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة فان قلت بم يتعلق قوله ان كنتم امنتم بالله
قلت بمحذوف يدل عليه واعلموا المعنى ان كنتم امنتم بالله فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب
به فاقطعوا عنه اطماعكم واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد بالعلم المجرد ولكنه العلم المضمن
بالعمل والطاعة لامر الله لان العلم المجرد يستوى فيه المومن والكافر وما انزلنا معطوف على بالله
اى ان كنتم امنتم بالله وبالمنزل على عبدنا وقرى عبدنا كقوله وعبد الطاغوت بضمتين يوم الفرقان
يوم بدر والجمعان الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما انزل عليه من الايات والملائكة و

والفتح يومئذ والله على كل شىء قدير على ان ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم
اذ بدل من يوم الفرقان والعدوة شط الوادى بالكسر والضم والفتح وقرى بهن وبالعدية
على قلب الواو ياء لان بينها وبين الكسرة حاجزا غير حصين كما فى الصبية والدنيا والقصوى تانيث
الادنى والاقصى فان قلت كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت احديهما بالياء والثانية بالواو
قلت القياس هو قلب الواو ياء كالعليا واما القصوى فكالقود فى مجيئه على الاصل وقد جاء
القصيا الا ان استعمال القصوى اكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجى استصاب واغيلت مع اغالت
والعدوة الدنيا مما يلى المدينة والقصوى مما يلى مكة والركب اسفل منكم يعنى الركب الاربعين
الذين كانوا يقودون العير اسفل منكم بالساحل واسفل نصب على الظرف معناه مكانا اسفل من مكانكم
وهو مرفوع المحل لانه خبر للمبتدا فان قلت ما فايدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وان العير
كانت اسفل منهم قلت الفايدة فيه الاخبار عن الحالة الدالة على قوة شان العدو وشوكته وتكامل
عدته وتمهد اسباب الغلبة له وضعف شان المسلمين وافتراق امرهم وان غلبتهم فى مثل هذه
الحال ليست الا صنعا من الله ودليلا على ان ذلك امر لم يتيسر الا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك
ان العدوة القصوى التى اناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت ارضا لا باس بها ولا ماء بالعدوة
الدنيا وهى خبار تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو
مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ فى المقاتلة عنها نياتهم ولهذا
كانت العرب تخرج الى الحرب بظعنهم واموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على الحرم
على بذل جهيداهم فى القتال وان لا يتركوا وراءهم ما يحدثون انفسهم بالانحياز اليه فيجمع ذلك قلوبهم
ويضبط هممهم ويوطن نفوسهم على ان لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم
وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما دبر سبحانه من امر وقعة بدر ليقضى امرا كان مفعولا من اعزاز
دينه واعلاء كلمته حين وعد المسلمين احدى الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا لياخذوا
العير راغبين فى الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله لاموالهم حتى
نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الاسباب حتى اناخ هولاء بالعدوة الدنيا وهولاء بالعدوة القصوى
ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان ولو تواعدتم انتم واهل مكة
وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء
بالموعد وثبطهم ما فى قلوبهم من تهيب رسول الله والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقى ما وفقه الله و

سبب له ليقضي متعلق بمحذوف اي ليقضي امرا كان واجبا ان يفعل وهو نصر اوليايه وقهر اعدايه
دبر ذلك وقوله ليهلك بدل منه واستعير الهلاك والحيوة للكفر والاسلام اي ليصدر كفر من كفر عن
وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا تبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من اسلم ايضا عن يقين
وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان ما كان وقعة بدر من الايات
الغر المحجلة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها وقرئ ليهلك بفتح اللام وحيي با
ظهار التضعيف لسميع عليم يعلم كيف يدبر اموركم ويسوي مصالحكم او لسميع عليم بكفر من كفر
وعقابه وبايمان من امن وثوابه اذ يريكهم الله نصب باضمار اذكر او هو بدل ثان من يوم الفرقان
او متعلق بقوله لسميع عليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في منامك في رؤياك وذلك ان
الله اراهم اياه في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وعن
الحسن في منامك في عينك لانها مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لانه ينام فيها وهذا تفسير
فيه تعسف وما احسب الرواية فيه صحيحة عن الحسن وما يلايم علمه بكلام العرب وفصاحته
لفشلتم لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم في الراي وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين
الثبات والفرار ولكن الله سلم اي عصم وانعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف انه عليم
بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجراة والجبن والصبر والجزع واذ يريكموهم الضميران مفعو
لان يعني اذ يبصركم اياهم وقليلا نصب على الحال وانما قللهم في اعينهم تصديقا لرويا رسول الله وليعا
ينوا ما اخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل
الى جنبي اتراهم سبعين قال اراهم ماية فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال الفا ويقللكم في اعينهم
قال قايل منهم انما هم اكلة جزور فان قلت الغرض في تقليل الكفار في اعين المومنين ظاهر فما الغرض
في تقليل المومنين في اعينهم قلت قد قللهم في اعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده ليجترءوا
عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجاهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم
وتقديرهم وذلك قوله يرونهم مثليهم راي العين ولئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم
في استيضاح الاية البينة من قلتهم اولا وكثرتهم اخرا فان قلت باي طريق يبصرون الكثير قليلا
قلت بان يستر الله عنهم بعضه بساتر او يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما احدث في اعين
الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد
فقال ما لي لا ارى هذين الديكين اربعة اذا لقيتم فئة اذا حاربتم جماعة من الكفار وترك ان يصفها

لان

لان المومنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء اسم للقتال غالب فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا واذكروا
الله كثيرا في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم
اللهم اقطع دابر الكافرين لعلكم تفلحون اي تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان
على العبد ان لا يفتر عن ذكر ربه اشغل ما يكون قلبا واكثر ما يكون هما وان تكون نفسه مجتمعة لذلك
وان كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما في خطب امير المومنين في ايام صفين وفي مشاهده مع البغاة
والخوارج من البلاغة والبيان ولطايف المعاني وبليغات المواعظ والنصايح دليلا على انهم
كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله تعالى شاغل وان تفاقم الامر ولا تنازعوا قرئ بتشديد التاء فتفشلوا منصوب
باضمار ان او مجزوم لدخوله في حكم النهي ويدل على التقديرين قراءة من قرا وتذهب ريحكم با
لتاء والنصب وقراءة من قرا ويذهب ريحكم بالياء والجزم والريح الدولة شبهت في نفوذ
امرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ امره
ومنه قوله اتنظران قليلا ريث غفلتهم ام تعدوان فان الريح للعادي وقيل لم يكن قط نصر
الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور حذرهم بالنهي عن التنازع
واختلاف الراي نحو ما وقع لهم باحد لمخالفتهم رسول الله من فشلهم وذهاب ريحهم كالذين خرجوا
من ديارهم هم اهل مكة حين نفروا لحماية العير فاتاهم رسول ابي سفيان وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد
سلمت عيركم فابى ابو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم
بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورياؤهم الناس باطعامهم فوافوها فسقوا كؤوس المنايا
مكان الخمر وناحت عليهم النوايح مكان القيان فنهاهم ان يكونوا مثلهم بطرين طربين مرائين
باعمالهم وان يكونوا من اهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله مخلصين اعمالهم لله
واذكروا اذ زين لهم الشيطان اعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله ووسوس اليهم انهم
لا يغلبون ولا يطاقون واوهمهم ان اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفر
يقان نكص الشيطان وتبرا منهم اي بطل كيده حين نزلت جنود الله وكذا عن الحسن كان ذلك على سبيل
الوسوسة ولم يتمثل لهم وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت التي بينها وبين كنانة من الحرب
فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من اشرافهم
في جند من الشياطين معه راية وقال لا غالب لكم اليوم واني مجير لكم من بني كنانة فلما راى
الملايكة تنزل نكص وقيل كانت يده في يد الحرث بن هشام فلما نكص قال له الحارث الى اين اتخذلنا

في هذه الحال فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحرث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا
مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم
فلما اسلموا علموا انه الشيطان وفي الحديث ما رؤي ابليس يوما اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ من
يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا ما رؤي يوم بدر فان قلت هلا قيل لا غالبا لكم كما
يقال لا ضاربا زيدا عندنا قلت لو كان لكم مفعولا لغالب بمعنى لا غالبا اياكم لكان الامر كما قلت
ولكنه خبر تقديره لا غالب كاين لكم اذ يقول المنافقون بالمدينة والذين في قلوبهم مرض يجوز ان
يكون من صفة المنافقين وان يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الاقدام في الاسلام وعن الحسن هم
المشركون غر هولاء دينهم يعنون ان المسلمين اغتروا بدينهم وانهم يتقوون به وينصرون من اجله فخر
جوا وهم ثلثماية وبضعة عشر الى زهاء الالف ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم
يسلط القليل الضعيف على الكثير القوي ولو ترى ولو عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع
الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال واذ نصب على الظرف وقرئ تتوفى بالتاء و
الياء والملائكة رفعها بالفعل ويضربون حال منهم ويجوز ان يكون في يتوفى ضمير الله تعالى والملائكة
مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر وعن مجاهد ادبارهم استاههم ولكن الله كريم يكني وانما خصو
هما بالضرب لان الخزي والنكال في ضربهما اشد وبلغني عن اهل الصين ان عقوبة الزاني عندهم
ان يصبر ثم يعطى الرجل القوي البطش شيا عمل من حديد كهيئة الطبق فيه رزانة وله مقبض
فيضرب به على دبره ضربة واحدة بقوته فيخمد في مكانه وقيل يضربون ما اقبل منهم وما ادبر
وذوقوا معطوف على يضربون على ارادة القول اي ويقولون ذوقوا عذاب الحريق اي مقدمة
عذاب النار او وذوقوا عذاب الاخرة بشارة لهم به وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضر
بوا بها التهبت النار او ويقال لهم يوم القيامة ذوقوا وجواب لو محذوف اي لرايت امرا
فظيعا منكرا ذلك بما قدمت ايديكم يحتمل ان يكون من كلام الله تعالى ومن كلام الملائكة وذلك رفع
بالابتداء وبما قدمت خبره وان الله عطف عليه اي ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم ومعا
صيكم وبان الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكفار من العدل كاثابة المومنين وقيل ظلام
للتكثير لاجل العبيد او لان العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بظلاما
بليغ الظلم متفاقمه الكاف في محل الرفع اي داب هولاء مثل داب ال فرعون ودابهم عادتهم وعملهم
الذي دابوا فيه اي داوموا عليه وواظبوا وكفروا تفسير لداب ال فرعون ذلك اشارة الى

المن وعلى الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب و
شبهه الزجاج بقوله ضرب زيد الظهر والبطن اي على الظهر والبطن وعن رسول الله
م ان الشيطان قعد لابن ادم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين
ابائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه
فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امراتك فعصاه
فقاتل ثم لاتينهم من الجهات الاربع التي ياتي منها العدو في الغالب وهذا مثل لوسو
سته اليهم وتسويله ما امكنه وقدر عليه كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب
عليهم بخيلك ورجلك فان قلت كيف قيل من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن ايمانهم وعن
شمائلهم بحرف المجاوزة قلت المفعول فيه عدي اليه الفعل نحو تعديته الى المفعول به فكما
اختلفت حروف التعدية في ذلك اختلفت في هذا وكانت لغة توخذ ولا تقاس وانما
يفتش عن صحة موقعها فقط فلما سمعناهم يقولون جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى
شماله قلنا معنى على يمينه انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه ومعنى
عن يمينه انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل
في المتجافي وغيره كما ذكرنا في تعالى ونحوه من المفعول به قولهم رميت عن القوس وعلى
القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدي
الرمي منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن
بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول جيته من الليل تريد بعض
الليل وعن شقيق ما من صباح الا قعد لي الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي
ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم
فاقرا واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفني الضيعة على
مخلفي فاقرا وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما من قبل يميني فياتيني من قبل
الثنا فاقرا والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي فياتيني من قبل الشهوات فاقرا
وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولا تجد اكثرهم شاكرين قاله تظنيا بدليل قوله ولقد صدق
عليهم ابليس ظنه وقيل سمعه من الملايكه باخبار الله لهم مذوما بالتخفيف مثل مسول في مسوول
واللام في لمن تبعك موطية للقسم ولاملان جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط منكم منك ومنهم

تقلب ضمير المخاطب كما في قوله انكم قوم تجهلون وروى عصمة عن عاصم لمن تبعك بكسر
اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لاملان جهنم منكم اجمعين على ان
لاملان في محل الابتدا ولمن تبعك خبره ويا آدم وقلنا يا آدم وقرى هذى الشجرة والاصل
الياء والهاء بدل منها فوسوس وسوس اذا تكلم كلاما خفيا يكرره ومنه وسوس الحلى وهو فعل
غير متعد كولولت المراة ووعوع الذيب ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح
ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذى تلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل
الوسوسة لاجله ووسوس اليه القاها اليه ليبدى جعل ذلك غرضا له ليسوءهما اذا رايا
ما يوثران ستره وان لا يطلع عليه مكشوفا وفيه دليل على ان كشف العورة من عظائم الامور
وانه لم يزل مستهجنا في الطباع مستقبحا في العقول فان قلت ما للواو المضمومة في ووري
لم تقلب همزة كما في اويصل قلت لان الثانية مدة كالف وارى فلا تجب في قراءة عبد الله
اورى بالقلب الا ان تكونا ملكين الا كراهة ان تكونا ملكين وفيه دليل على ان الملكية بالمنظر
الاعلى وان البشرية تلي مرتبتهما كلا ولا وقرى ملكين بكسر اللام لقوله وملك لا يبلى من الخالدين
من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين وقرى من سوتهما بالتوحيد وسواتهما بالواو
المشددة وقاسمهما واقسم لهما انى لكما لمن الناصحين فان قلت المقاسمة ان تقسم لصاحبك
ويقسم لك تقول قاسمت فلانا حالفته وتقاسما تحالفا ومنه قوله تقاسموا بالله لنبيتنه
قلت كانه قال ونشر لكما انى لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهما او اقسم لهما بالنصيحة واقسما
له بقبولها او اخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم فدلاهما
بغرور بما غرهما به من القسم بالله وعن قتادة وانما يخدع المومن بالله وعن ابن عمر انه كان
اذا راى من عبده طاعة وحسن صلوة اعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له
انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له فلما ذاقا الشجرة وجدا طعمها اخذين في الاكل
منها وقيل الشجرة هي السنبلة وقيل شجرة الكرم بدت لهما سواتهما اى تهافت عنهما اللباس
وظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الاخر وعن عايشة رضي الله عنها ما
رايت منه ولا راى منى وعن سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الاظفار وعن وهب كان لباسهما
نورا يحول بينهما وبين النظر وطفقا يخصفان وطفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل كذا وقرا ابو السمال وطفقا
بالفتح يخصفان ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستترا بها كما تخصف الرجل نعله بان تجعل طرقة

اى قطعة

على طرفه

من خصف وخصف
من خصف اى خصفان

٢٤

على طرقه وتوثق بالسيور وقرا الحسن يخصفان بكسر الخاء وتشديد الصاد واصله يختصفان
وقرا الزهرى يخصفان انفسهما وقرى يخصفان من خصف بالتشديد من ورق الجنة
قيل كان ورق التين الم انهكما عتاب من الله وتوبيخ وتنبيه على الخطا حيث لم يتحذرا
ما حذرهما الله من عداوة ابليس وروى انه قال لادم الم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة
مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك
كاذبا قال فبعزتى لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد
وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وطحن وعجن وخبز وسميا ذنبهما وان
كان صغيرا مغفورا ظلما لانفسهما وقالا لنكونن من الخاسرين على عادة الاولياء والصالحين
في استعظامهم الصغير من السيات واستصغارهم العظيم من الحسنات اهبطوا الخطاب لادم
وحوا وابليس وبعضكم لبعض عدو في موضع الحال اى متعادين يعاديهما ابليس ويعاديانه
مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وانتفاع بعيش الى حين الى انقضا اجالكم وعن
ثابت البنانى لما اهبط ادم وحضرته الوفاة احاطت به الملئكة فجعلت حوا تدور حولهم
فقال لها خلى ملائكة ربى فانما اصابنى الذى اصابنى فيك فلما توفى غسلته الملئكة بماء وسدر
وترا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بارض
الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده جعل ما في الارض منزلا من السما لانه قضى ثم وكتب
ومنه وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وريشا لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه
وزينته اى انزلنا عليكم لباسين لباسا يوارى سواتكم ولباسا يزينكم لان الزينة غرض صحيح
كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال وقرا عثمان رض ورياشا جمع ريش كشعب وشعاب
لباس التقوى ولباس الورع والخشية من الله وارتفاعه على الابتدا وخبره اما الجملة التى
هى ذلك خير كانه قيل ولباس التقوى هو خير لان اسما الاشارة تقرب من الضماير فيما يرجع الى
عود الذكر واما المفرد الذى هو خير وذلك صفة للمبتدا كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه
خير ولا تخلوا الاشارة من ان يراد بها تعظيم لباس التقوى او ان تكون اشارة الى اللباس الموارى
للسوة لان مواراة السوة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر مبتدا
محذوف اى وهو لباس التقوى ثم قيل ذلك خير وفي قراءة عبد الله وابى ولباس التقوى خير
وقيل المراد بلباس التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقى به في الحروب

وقرئ ولباسَ التقوى بالنصب عطفا على لباسا وريشا ذلك من آيات الله الدالة على فضله ورحمته
على عباده يعني انزال اللباس لعلهم يذكرون فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة
على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليها اظهارا للمنة فيما خلق من
اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة واشعارا بان التستر باب عظيم من
ابواب التقوى لا يفتننكم الشيطان لا يخدعنكم بان لا تدخلوا الجنة كما فتن ابويكم بان اخر
جهما منها ينزع عنهما لباسهما حال اي اخرجهما نازعا لباسهما بان كان سببا في
ان نزع عنهما انه يراكم هو تعليل للنهي وتحذير من فتنته بانه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم
ويغتالكم من حيث لا تشعرون وعن مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤونة
الا من عصم الله هو وقبيله وجنوده من الشياطين وفيه دليل بين ان الجن لا يرون ولا يظهرون
للانس وان اظهارهم انفسهم ليس في استطاعتهم وان زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقة انا
جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون اي خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم و
اطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصي وهذا تحذير آخر ابلغ من الاول فان قلت لم امتنع
عطفه على الضمير المتصل قلت لان العاطف يجعل ما بعده شريكا لما قبله من معمول الفعل في معناه
والذي هو معمول الفعل هو المستكن دون حال البارز فوجب كون المعطوف عليه فان قلت علام
عطف وقبيله قلت على الضمير في يراكم المؤكد بهو والضمير في انه ضمير الشان والحديث وقرا
اليزيدي وقبيلَه بالنصب وفيه وجهان ان يعطفه على اسم ان وان يكون الواو بمعنى مع واذا
عطف على اسم ان وهو الضمير في انه كان راجعا الى ابليس فاحشة ما تبالغ في قبحه من الذنو
ب اي اذا فعلوها اعتذروا بان آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبان الله امرهم بان يفعلو
ها وكلاهما باطل من العذر لان احدهما تقليد والتقليد ليس بطريق للعلم والثاني افتراء على الله و
الحاد في صفاته كانوا يقولون لو كره الله منا ما نفعله لنقلنا عنه وعن الحسن ان الله بعث محمدا
م الى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله وتصديقه قول الله تعالى واذا فعلوا فاحشة
قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان فعل القبيح مستحيل عليه لعدم الداعي ووجود الصارف فكيف يامر بفعله
اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار لاضافتهم القبيح اليه وشهادة على ان مبنى قولهم على الجهل
المفرط وقيل المراد بالفاحشة طوافهم بالبيت عراة بالقسط بالعدل وبما قام في النفوس انه مستقيم
حسن عند كل مميز وقيل بالتوحيد واقيموا وجوهكم وقيل اقيموا وجوهكم اي اقصدوا عبادته مستقيمين

إما لان ارسل ونشر متقاربان فكانه قيل نشرها نشرا واما على الحال بمعنى منتشرات ونُشُرا جمع
نشور ونُشْرا تخفيف نُشُر كرُسْل ورُسُل وقرا مسروق نَشَرا بمعنى منشورات فَعَل بمعنى مفعول
كنفض وحسب ومنه قولهم ضم نشره وبُشُرا جمع بشير وبُشْرا بتخفيفه وبَشْرا بفتح الباء
مصدر من بشره بمعنى بشّره اي باشرات وبُشرى بين يدي رحمته امام نعمته وهي
الغيث الذي هو من اجل النعم واحسنها اثرا اقلت حملت ورفعت واشتقاق الاقلال
من القلة لان الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا سحابا ثقالا سحائب ثقالا بالماء جمع سحابة
سقناه الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لانث كما لو حمل الوصف على اللفظ
لقيل ثقيلا لبلد ميت لاجل بلد ليس فيه حيا ولسقيه وقرئ ميْت فانزلنا به بالبلد او بالسحاب
او بالسوق وكذلك فاخرجنا به كذلك مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات نخرج الموتى
لعلكم تذكرون فيؤديكم التذكر الى انه لا فرق بين الاخراجين اذ كل واحد منهما اعادة الشيء
بعد انشائه والبلد الطيب الارض العذاة الكريمة التربة والذي خبث الارض السبخة التي
لا تنبت ما ينتفع به باذن ربه بتيسيره وهو في موضع الحال كانه قيل يخرج حسنا وافيا لا
نه واقع في مقابلة نكدا والنكد الذي لا خير فيه وقرئ يُخرج نباته اي يخرجه البلد وينبته و
قوله والذي خبث صفة للبلد ومعناه والبلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف
الذي هو النبات واقيم المضاف اليه الذي هو الراجع الى البلد مقامه الا انه كان مجرورا بارزا
فانقلب مرفوعا مستكنا لوقوعه موقع الفاعل او يقدر ونبات الذي خبث وقرئ نكَدا بفتح
الكاف على المصدر اي ذا نكد ونكْدا باسكانها للتخفيف كقوله نزْه عن الريب بمعنى نزِه وهذا
مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك وعن مجاهد آدم
وذريته منهم خبيث وطيب وعن قتادة المؤمن سمع كتاب الله بعقله فوعاه وانتفع به كالارض
الطيبة اصابها الغيث فانبتت والكافر بخلاف ذلك وهذا التمثيل واقع على اثر ذكر المطر و
انزاله بالبلد الطيب واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد كذلك مثل ذلك التصريف نصرف
الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله وهم المؤمنون ليتفكروا فيها ويعتبروا
وقرئ يصرف بالياء اي يصرفها الله لقد ارسلنا جواب قسم محذوف فان قلت ما لهم لا
يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع قد وقل عنهم نحو قوله حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا
قلت انما كان ذلك لان الجملة القسمية لا تساق الا تاكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها

الميت ا

لهم جميعًا لا تفتح لهم ابواب السما ولا يصعد لهم عمل صالح اليه يصعد الكلم الطيب كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقيل ان الجنة في السما فالمعنى لا يوذن لهم في صعود السما ولا يطرق لهم اليها ليدخلوا الجنه وقيل لا تصعد ارواحهم اذا ماتوا كما تصعد ارواح المومنين وقيل لا ينزل عليهم البركة ولا يغاثون ففيهما ابواب السما وقرى لا تفتح بالتشديد ولا تفتح بالتا والبنا للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل للايات وباليا على ان الفعل لله عز وجل وقرا ابن عباس الجمّل بوزن القمّل وسعيد بن جبير الجمَل بوزن النغر وقرى الجُمْل بوزن القُفْل والجُمُل بوزن النُصُب والجَمْل بوزن الحَبْل ومعناها القلس الغليظ لانه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة وعن ابن عباس ان الله احسن تشبيها من ان يشبه بالجمل يعني ان الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الابرة والبعير لا يناسبه الا ان قراة العامة اوقع لان سم الابرة في ضيق المسلك يقال اضيق من خرت الابرة وقالوا للدليل الماهر خريت لاهتدايه في المضايق المشبهة باخرات الابر والجمل مثل في عظم الجرم قال جسم الجمال واحلام العصافير ان الرجال ليسوا بجزر يراد منهم الاجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون ابدًا من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج الا في باب واسع في ثقب الابرة وعن ابن مسعود انه سيل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسايل واشارة الى ان طلب معنى اخر تكلف وقرى في سم بالحركات الثلاث وقرا عبد الله في سم المخيط والخياط والمخيط كالحزام والمحزم ما يخاط به وهو الابرة وكذلك ومثل ذلك الجزا الفظيع نجزي المجرمين ليوذن ان الاجرام هو السبب الموصل الى العقاب وان كل من اجرم عوقب وقد كرره فقال وكذلك نجزي الظالمين لان كل مجرم ظالم لنفسه مهاد فراش غواش اغطية وقرى غواشٌ بالرفع كقوله وله الجوار المنشات في عبد الله لا نكلف نفسًا الا وسعها جمله معترضة بين المبتدا والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع وهو الامكان الواسع غير الضيق من الايمان والعمل الصالح وقرا الاعمش لا تكلف نفس من كان في قلبه غل على اخيه في الدنيا نزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم الا التواد والتعاطف وعن علي رض عنه اني لارجوا ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم هدانا لهذا اي وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو الايمان والعمل الصالح وما كنا لنهتدي اللام لتوكيد النفي يعنون وما كان يستقيم ان نكون مهتدين لولا هداية الله وتوفيقه وفي مصا

لكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم قيل ارسل نوح وهو ابن خمسين سنة وكان نجارًا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس النبي عم وقرى غيره بالحركات الثلاث فالرفع على المحل كانه قيل ما لكم اله غيره والجر على اللفظ والنصب على الاستثنا بمعنى ما لكم من اله الا اياه كقولك ما في الدار من احد الا زيدًا فان قلت ما موقع الجملتين بعد قوله اعبدوا الله قلت الاولى بيان للداعي الى عبادته لانه هو المختص بها والثانية بيان للداعي الى ان يعبدوه لانه هو المحذور عقابه دون من كانوا يعبدونه من دون الله واليوم العظيم يوم القيامة او يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان الملا الاشراف والسادة وقيل الرجال ليس معهم نساء في ضلال في ذهاب عن طريق الصواب والحق ومعنى الروية روية القلب فان قلت لم قال ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا قلت الضلالة اخص من الضلال فكانت ابلغ في نفي الضلال عن نفسه كانه قال ليس بي شي من الضلال كما لو قيل لك الك تمر فقلت ما لي تمرة فان قلت كيف وقع قوله ولكني رسول استدراكًا للانتفا عن الضلالة قلت كونه رسولا من الله مبلغًا رسالاته ناصحًا في معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك ان يكون استدراكًا للانتفا عن الضلالة وقرى ابلغكم بالتخفيف فان قلت كيف موقع قوله ابلغكم قلت فيه وجهان احدهما ان يكون كلامًا مستانفًا بيانًا لكونه رسول رب العالمين والثاني ان يكون صفة لرسول فان قلت كيف جاز ان يكون صفة والرسول لفظه لفظ الغايب قلت جاز ذلك لان الرسول وقع خبرًا عن ضمير المخاطب فكان في معناه كما قال الذي سمتني امي حيدره رسالات ربي ما اوحي الي في الاوقات المتطاولة او في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي والمواعظ والزواجر والبشاير والنذاير ويجوز ان يريد رسالاته اليه والى الانبيا قبله من صحف جده ادريس وهي ثلثون صحيفة ومن صحف شيث وهي خمسون صحيفة وانصح لكم يقال نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وانها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودًا بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعًا ولا نصيحة امحض من نصيحة الله ورسله واعلم من الله ما لا تعلمون اي من صفات الله واحواله يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على اعدايه وان باسه لا يرد عن القوم المجرمين وقيل لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا امنين لا يعلمون ما علمه نوح بوحي الله اليه او اراد واعلم من جهة الله اشيا لا علم لكم بها قد اوحي الي بها او عجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كانه قيل اكذبتم وعجبتم

حق اهل الشام ما كنا لنهتدي بغير واو على انها جملة موضحة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فكان لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا كما ترى من رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك ان لا يقوله للفرح لا للقربة ان تلكم الجنة ان مخففة من الثقيلة تقديره ونودوا بانه تلكم الجنة اورثتموها والضمير ضمير الشان والحديث ويكون بمعنى اي لان المناداة من القول كانه قيل وقيل لهم تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون بسبب اعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة ان في قد وجدنا تحتمل ان تكون مخففة من الثقيلة وان تكون مفسرة كالتي سبقت انفا وكذلك ان لعنة الله على الظالمين وانما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة باصحاب النار وزيادة في غمهم ولتكون حكايته لطفا لمن سمعها وكذلك قول المؤذن بينهم لعنة الله على الظالمين فهو ملك يامره الله فينادي بينهم نداء يسمع اهل الجنة واهل النار وقرئ ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرا الاعمش ان لعنة الله بكسر ان على ارادة القول او على اجراء اذن مجرى قال فان قلت هلا قيل ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا ربنا قلت حذف ذلك تخفيفا لدلالة وعدنا عليه ولقائل ان يقول اطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر احوال القيامة لانهم كانوا مكذبين بذلك اجمع ولان الموعود كله مما ساءهم وما نعيم اهل الجنة الا عذاب لهم فاطلق لذلك وبينهما حجاب يعني بين الجنة والنار او بين الفريقين وهو السور المذكور في قوله فضرب بينهم بسور له باب وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهي اعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك رجال من المسلمين من اخرهم دخولا في الجنة لقصور اعمالهم كانهم المرجون لامر الله يحبسون بين الجنة والنار الى ان ياذن الله لهم في دخول الجنة يعرفون كلا بسيماهم من زمرة السعداء والاشقياء بعلامتهم التي اعلمهم الله بها يلهمهم الله ذلك او تعرفهم الملائكة اذا نظروا الى اصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار وراوا ما هم فيه من العذاب استعاذوا بالله وفزعوا الى رحمته ان لا يجعلهم معهم ونادوا رجالا من رؤوس الكفرة يقولون لهم اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اشارة لهم الى اهل الجنة الذين كان الرؤساء يستهينون بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة يقال لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد ان يحبسوا على الاعراف وينظروا الى الفريقين ويعرفوهم

نعم

بسيماهم ويقولوا ما يقولون وفائدته ذلك بيان ان الجزاء على قدر الاعمال وان التقدم والتاخر على حسبها وان احدا لا يسبق عند الله الا بسبقه في العمل ولا يتخلف عنده الا بتخلفه فيه وليرغب السامعون في حال السابقين ويحرصوا على احراز قصبتهم وليتصوروا ان كل احد يعرف ذلك اليوم بسيماه التي استوجب ان يوسم بها من اهل الخير والشر فيرتدع المسيء عن اساءته ويزيد المحسن في احسانه وليعلم ان العصاة يوبخهم كل احد حتى اقصر الناس عملا وقوله واذا صرفت ابصارهم فيه ان صارفا يصرف ابصارهم لينظروا فيستعيذوا ويوبخوا وقرا الاعمش واذا قلبت ابصارهم وقرئ ادخلوا الجنة على البناء للمفعول وقرا عكرمة دخلوا الجنة فان قلت كيف لاءم هاتين القراءتين قوله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون قلت تاويله ادخلوا الجنة او دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون فان قلت ما محل قوله لم يدخلوها وهم يطمعون قلت لا محل له لانه استيناف كان سائلا سال عن حال اصحاب الاعراف فقيل لهم لم يدخلوها وهم يطمعون يعني حالهم ان دخولهم الجنة استاخر عن دخول اهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين وهم يطمعون لم ييأسوا ويجوز ان يكون له محل من الاعراب بان يقع صفة لرجال ما اغنى عنكم جمعكم المال وكثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون واستكباركم عن الحق وعلى الناس وقرئ تستكثرون من الكثرة افيضوا علينا فيه دليل ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من غيره من الاشربة لدخوله في حكم الافاضة ويجوز ان يراد او القوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا وانما يطلبون ذلك مع ياسهم من الاجابة اليه حيرة في امرهم كما يفعل المضطر الممتحن حرمهما على الكافرين منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه ويحظر كقوله حرام على عيني ان تطعم الكرى فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من الخير لا يذكرونهم به كما نسوا لقاء يومهم هذا كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه ببالهم ولم يهتموا به فصلناه على علم عالمين كيف نفصل احكامه ومواعظه وقصصه وسائر معانيه حتى جاء حكيما قيما غير ذي عوج وقرا ابن محيصن فضلناه بالضاد المعجمة يعني فضلناه على جميع الكتب عالمين انه اهل للتفضيل عليها وهدى ورحمة حال من منصوب فصلناه كما ان على علم حال من مرفوعه الا تاويله الا عاقبة امره وما يؤول اليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد قد جاءت رسل ربنا بالحق اي تبين وصح انهم جاؤوا بالحق فهل لنا جملة معطوفة على الجملة التي قبلها داخلة في حكم الاستفهام

عذاب اه

سوى اه

نون

حتى تشتت همالة عيناها
اي ردفت وازادت

باردا اه
ومنه بيت الكتاب

مهملة ٤

ابى ع

كانه قيل هل لنا من شفعا او هل نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كما تقول ابتدا هل يضرب
زيد ولا يطلب له فعل اخر يعطف عليه فلا يقدر هل يشفع لنا شافع او نرد وقرا ابن اسحق او نرد
بالنصب عطفا على فيشفعوا او تكون بمعنى حتى ان اى يشفعون لنا حتى نرد فنعمل وقرى
بنصب نرد ورفع ونعمل بمعنى فنحن نعمل يغشى الليل النهار وقرى يغشى بالتشديد اى يلحق
الليل بالنهار او النهار بالليل يحتملهما جميعا والدليل على الثانى قراة حميد بن قيس يغشى
الليل النهار بفتح اليا ونصب الليل ورفع النهار اى يدرك النهار الليل ويطلبه حثيثا حسن
الملائمة لقراة حميد بامره بمشيئته وتصريفه وموسويا متعلق بمسخرات اى خلقهن جاريات
بمقتضى حكمته وتدبيره وبما يريد ان يصرفها سمى ذلك امرا على التشبيه كانهن مامورات
بذلك وقرى والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع ولما ذكر انه خلقهن مسخرات بامره قال الا
له الخلق والامر اى هو الذى خلق الاشيا وهو الذى يصرفها على حسب ارادته تضرعا وخفية
نصب على الحال اى ذوى تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا والتضرع التفعل من الضراعة وهى الذل
اى تذللا وتملقا وقرى خفية وعن الحسن رحمة الله ان الله يعلم القلب التقى والدعا الخفى ان كان الرجل
لقد جمع القران وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير ولا يشعر الناس به
وان كان الرجل ليصلى الصلوة الطويلة وعنده الزور وما يشعر به ولقد ادركنا اقواما ما كان
على الارض من عمل يقدرون على ان يعملوه فى السر فيكون علانية ابدا ولقد كان المسلمون
يجتهدون فى الدعا ما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا
ربكم وقد اثنى على زكريا فقال اذ نادى ربه ندا خفيا وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون
ضعفا انه لا يحب المعتدين اى المجاوزين ما امروا به فى كل شى من الدعا وغيره وعن ابن جريج
هو رفع الصوت بالدعا وعنه الصياح فى الدعا مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب فى الدعا
وعن النبى ع سيكون قوم يعتدون فى الدعا وحسب المرا ان يقول اللهم انى اسالك الجنة وما قرب
اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرا قوله تعالى انه
لا يحب المعتدين ان رحمة الله قريب من المحسنين كقوله وانى لغفار لمن تاب وامن وعمل صا
لحا وانما ذكر قريب على تاويل الرحمة بالرحم او الترحم او لانه صفة موصوف محذوف اى شى قريب
او على تشبيهه بفعيل الذى بمعنى مفعول كما شبه ذلك به فقيل قتلا واسرا او على انه بزنة المصدر
الذى هو النقيض والضغيب او لان تانيث الرحمة غير حقيقى قرى نشرا وهو مصدر نشر وانتصابه

اما

اليها غير عادلين الى غيرها عند كل مسجد فى كل وقت سجود او فى كل مكان سجود وهو الصلوة
وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اى الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا كما بداكم تعو
دون كما انشاكم ابتدا يعيدكم احتج عليهم فى انكارهم الاعادة بابتدا الخلق والمعنى انه يعيدكم
فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة فريقا هدى وهم الذين اسلموا اى وفقهم للايمان و
فريقا حق عليهم الضلالة اى كلمة الضلالة وعلم الله انهم يضلون ولا يهتدون وانتصاب قوله و
فريقا بفعل يفسره ما بعده كانه قيل وخذل فريقا حق عليهم الضلالة انهم اى الفريق الذين
حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين اوليا اى تولوهم بالطاعة فيما امروهم به وهذا دليل
على ان علم الله لا اثر له فى ضلالهم وانهم هم الضالون باختيارهم وتوليهم الشياطين دون الله
خذوا زينتكم اى ثيابكم ولباس زينتكم عند كل مسجد كلما صليتم او طفتم وكانوا يطوفون عراة و
عن طاوس لم يامرهم بالحرير والديباج وانما كان احدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه ورا المسجد
وان طاف وهى عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله فى ثياب اذنبنا فيها وقيل
تفاولا ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل الطيب والسنة
ان ياخذ الرجل احسن هيئة للصلوة وكان بنو عامر فى ايام حجهم لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون
دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون فانا احق ان نفعل فقيل لهم وكلوا واشربوا ولا تسرفوا و
عن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة ويحكى ان الرشيد
كان له طبيب نصرانى حاذق فقال لعلى بن الحسين بن واقد ليس فى كتابكم من علم الطب
شى والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له قد جمع الله الطب كله فى نصف اية من كتابه
قال وما هى قال قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصرانى ولا يوثر من رسولكم شى
فى الطب فقال قد جمع رسولنا ع الطب فى الفاظ يسيرة قال وما هى قال قوله المعدة بيت
الدا والحمية راس كل دوا واعط كل بدن ما عودته فقال النصرانى ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجا
لينوس طبا زينة الله من الثياب وكل ما يتجمل به والطيبات من الرزق المستلذات من الما
كل والمشارب ومعنى الاستفهام فى من انكار تحريم هذه الاشيا وقيل كانوا اذا احرموا حرموا
الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها قل هى للذين امنوا فى الحيوة الدنيا غير خا
لصة لان المشركين شركاؤهم فيها خالصة يوم القيمة لا يشركهم فيها احد فان قلت هلا
قيل هى للذين ولغيرهم قلت لينبه على انها خلقت للذين امنوا على طريق الاصالة وان الكفرة

نبع لهم كقوله ومن كفر فامتعه قليلاً ثم اضطره الى عذاب النار وقرئ خالصةً بالنصب على الحال
وبالرفع على انها خبر بعد خبر الفواحش ما تفاحش قبحه اى تزايد وقيل هي ما يتعلق بالفرج
والاثم عام لكل ذنب وقيل شرب الخمر والبغي الظلم والكبر افرده بالذكر كما قال وينهى عن الفحشاء والمنكر
والبغي ما لم ينزل به سلطاناً فيه تهكم لانه لا يجوز ان ينزل برهاناً بان يشرك به غيره وان تقولوا
على الله وان تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره ولكل امة اجل وعيد لاهل مكة
بالعذاب النازل في اجل معلوم عند الله كما نزل بالامم وقرئ فاذا جاء اجالهم وقال ساعة لانها
اقل الاوقات في استعمال الناس تقول المستعجل لصاحبه في ساعة تريد اقصر وقت واقربه
اما يأتينكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما موكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة
او الخفيفة فان قلت فما جزاء هذا الشرط قلت الفاء وما بعده من الشرط والجزاء والمعنى فمن
اتقى واصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ تاتينكم بالتاء فمن اظلم فمن اشنع ظلماً ممن تقول
على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اى مما كتب لهم من الارزاق
والاعمار حتى اذا جاءتهم رسلنا غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له اى الى وقت وفاتهم وحتى
هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام هاهنا الجملة الشرطية وهي اذا جاءتهم رسلنا قالوا
ويتوفونهم حال من الرسل اى متوفيهم والرسل ملك الموت واعوانه وما وقعت موصولة باين
في خط المصحف وكان حقها ان تتصل لانها موصولة بمعنى اين الذين تدعون ضلوا عنا
غابوا عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم اعترافاً منهم بانهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه وانهم لم يحمدوه
في العاقبة قال ادخلوا اى يقول الله يوم القيامة لاولئك الذين قال فيهم فمن اظلم ممن افترى على
الله كذباً او كذب باياته وهم كفار العرب في امم في موضع الحال اى كائنين في جملة امم
في غمارهم مصاحبين لهم اى ادخلوا في النار مع امم قد خلت من قبلكم وتقدم زمانهم زمانكم
لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها اى تداركوا بمعنى تلاحقوا
واجتمعوا في النار قالت اخراهم منزلة وهي الاتباع والسفلة لاولاهم منزلة وهي القادة والرؤوس
ومعنى لاولاهم لاجل اولاهم لان خطابهم مع الله لا معهم عذاباً ضعفاً مضاعفاً لكل ضعف لان كلا
من القادة والاتباع كانوا ضالين مضلين ولكن لا تعلمون قرئ بالتاء والياء فما كان لكم علينا
من فضل عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف اى فقد ثبت ان لا فضل لكم
علينا وانا متساوون في استحقاق الضعف فذوقوا العذاب من قول القادة ومن قول الله

ان جاءكم من ان جاءكم ذكر موعظة من ربكم على رجل منكم على لسان رجل منكم كقوله ما وعدتنا على رسلك
وذلك انهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح ويقولون ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين يعنون ارسال البشر
ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لينذركم ولتتقوا ليحذركم عاقبة الكفر ولتوجد منكم التقوى وهي
الخشية بسبب الانذار ولعلكم ترحمون ولترحموا بالتقوى ان وجدت منكم والذين معه قيل كانوا
اربعين رجلاً واربعين امراةً وقيل تسعة بنوه حام وسام ويافث وستة ممن امن به
فان قلت في الفلك بم يتعلق قلت هو متعلق بمعه كانه قيل والذين استقروا معه في الفلك
او صحبوه في الفلك ويجوز ان يتعلق بفعل الانجاء اى انجيناهم في السفينة من الطوفان عمين
عمي القلوب غير مستبصرين وقرئ عامين والفرق بين العمي والعامي ان العمي يدل على
عمي ثابت والعامي على عمي حادث ونحوه قوله ضائق به صدرك اخاهم واحداً منهم
قولك يا اخا العرب للواحد منهم وانما جعل واحداً منهم لانهم افهم عن رجل منهم واعرف بحاله في
صدقه وامانته وهو هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح واخاهم عطف على نوحاً و
هوداً عطف بيان له فان قلت لم حذف العاطف من قوله قال يا قوم ولم يقل فقال كما في
قصة نوح قلت هو على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله
وكذلك قال الملأ فان قلت لم وصف الملأ بالذين كفروا دون الملأ من قوم نوح قلت كان
في اشراف قوم هود من امن به منهم مرثد بن سعد الذي اسلم وكان يكتم اسلامه فاريدت
التفرقة بالوصف ولم يكن في اشراف قوم نوح مومن ونحوه قوله وقال الملأ من قومه الذين كفروا
وكذبوا بلقاء الاخرة ويجوز ان يكون وصفاً واردًا للذم لا غير في سفاهة في خفة حلم وسخافة
عقل حيث تهجر دين قومك الى دين اخر وجعلت السفاهة ظرفاً على طريق المجاز ارادوا
انه متمكن فيها غير منفك عنها وفي اجابة الانبياء عليهم السلام من نسبهم الى الضلال والسفاهة
بما اجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والاغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بان
خصومهم اضل الناس واسفههم ادب حسن وخلق عظيم وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده
كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون اذيالهم على ما يكون منهم ناصح امين
اى عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فما حقي ان اتهم او انا لكم ناصح فيما ادعوكم اليه امين
على ما اقول لكم لا اكذب فيه خلفاء من بعد قوم نوح اى خلفتموهم في الارض او جعلكم ملوكاً
في الارض قد استخلفكم فيها بعدهم في الخلق بسطة فيما خلق من اجرامكم ذهاباً في الطول و

السخافة الرقة
ضعف

البنا انه قيل كان اقصرهم ستين ذراعا واطولهم مائة ذراع فاذكروا آلاء الله في استخلافكم
وبسطة اجرامكم وما سواهما من عطاياه وواحد الآلاء إلى ونحوه اني وآناء وضلع واضلاع
وعنب واعناب فان قلت اذ في قوله اذ جعلكم خلفاء ما وجه انتصابه قلت هو مفعول
به وليس بظرف اي اذكروا وقت استخلافكم اجئتنا لنعبد الله وحده بالعبادة ونذر دين الآباء
في اتخاذ الاصنام شركاء معه حبا لما نشأوا عليه والفا لما صادفوا آباءهم يتدينون به
فان قلت ما معنى المجيء في قوله اجئتنا قلت فيه اوجه ان يكون لهود عم مكان معتزل
عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله عم بحراء قبل المبعث فلما اوحي اليه جاء قومه
يدعوهم وان يريدوا به الاستهزاء لانهم كانوا يعتقدون ان الله لا يرسل الا الملائكة فكانهم قالوا
اجئتنا من السماء كما يجيء الملك وان لا يريدوا حقيقة المجيء ولكن التعرض بذلك والقصد كما يقال
ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب كانهم قالوا اقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت
لنا بتكليف ذلك فاتنا بما تعدنا استعجال منهم للعذاب قد وقع عليكم اي حق عليكم ووجب او قد
نزل عليكم جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه قولك لمن طلب اليك بعض المطا
لب قد كان ذلك وعن حسان ان ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكي فقال له يا
بني ما لك قال لسعني طوير كانه ملتف في بردي حبرة فضمه الى صدره وقال يا بني قد قلت
الشعر والرجس العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب في اسماء سميتموها في اشياء ما هي الا
اسماء ليس تحتها مسميات لانكم تسمونها آلهة ومعنى الالهية فيها معدوم محال وجوده وهذا
كقوله ما تدعون من دونه من شيء ومعنى سميتموها سميتم بها من قولك سميته زيدا وقطعنا دا
برهم استيصالهم وتدميرهم عن آخرهم وقصتهم ان عادا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضر
موت وكانت لهم اصنام يعبدونها صدا وصمود والهباء فبعث الله اليهم هودا نبيا وكان من
اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا
وكان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة
اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد
الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه
فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا
اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية

جاريتان

فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قد بعثوا له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري
وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي ان يكلمهم خيفة ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين
فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية الا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما
فيسقي ارض عاد ان عادا * قد امسوا ما يبينون الكلاما فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من
البلاء الذي نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد
والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية
احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة
فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم
ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء
فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا
فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا
فان قلت ما فائدة نفي الايمان عنهم في قوله وما كانوا مؤمنين مع اثبات التكذيب بآيات الله
قلت هو تعريض بمن آمن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود عم كانه قال وقطعنا دابر الذين
كذبوا بآياتنا منهم ولم يكونوا مثل من آمن منهم ليؤذن ان الهلاك خص المكذبين ونجى الله المؤ
منين قرئ والى ثمود بمنع الصرف بتأويل القبيلة والى ثمود بالصرف بتأويل الحي او باعتبار
الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وقيل سميت ثمود لقلة ما
ئها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى قد جاءتكم
بينة آية ظاهرة وشاهد على صحة نبوتي وكانه قيل ما هذه البينة فقال هذه ناقة الله لكم آية
وآية نصب على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل كانه قيل اشير اليها آية
ولكم بيان لمن هي له آية موجبة عليه الايمان خاصة وهم ثمود لانهم عاينوها وسائر الناس اخبروا
عنها وليس الخبر كالمعاينة كانه قال لكم خصوصا وانما اضيفت الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما
لشانها وانها جاءت من عنده مكونة من غير فحل وطروقة آية من آياته كما تقول آية الله وروي
ان عادا لما اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض كثروا وعمروا اعمارا طوالا
حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في
سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صا

مستضعفون ام

لحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفين فحذرهم فسالوه اية فقال اية اية تريدون فقالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسالوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح ع عليهم المواثيق لين فعلت ذلك لتومنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله وعظما وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فامن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤسهم ان يومنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت راسها في البير فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاءوا حتى تمتلي اوانيهم فيشربون ويدخرون قال ابو موسى الاشعري اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا وكانت الناقة اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امراتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوها فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغايه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا تاكل في ارض الله اي الارض ارض الله والناقة ناقة الله فذروها تاكل في ارض ربها وليست الارض لكم ولا ما فيها من النبات من انباتكم ولا تمسوها بسوء لا تضربوها ولا تطردوها ولا تريبوها بشي من الاذى اكراما لاية الله ويروى ان رسول الله ع حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية

ولا تشربوا من مايها ولا تدخلوا على هولاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال ع يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله اعلم ورسوله قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الاخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك وقرا ابو جعفر في رواية تاكل في ارض الله وهو في موضع الحال بمعنى اكلة وبواكم ونزلكم والمباءة المنزل في الارض في ارض الحجر بين الحجاز والشام من سهولها قصورا اي تبنونها من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والاجر وقرا الحسن وتنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كقوله ينباع من ذفرى اسيل حرة فان قلت علام انتصب بيوتا قلت على الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا وابر هذه القصبة قلما وهي من الحال المقدرة لان الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب والقصبة قميصا وقلما في حال الخياطة والبري وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء للذين استضعفوا للذين استضعفهم رؤساء الكفار واستذلوهم لمن امن منهم بدل من الذين استضعفوا فان قلت الضمير في منهم راجع الى ماذا قلت الى قومه او الى الذين استضعفوا فان قلت هل لاختلاف المرجعين اثر في اختلاف المعنى قلت نعم وذلك ان الراجع اذا رجع الى قومه فقد جعل من امن مفسرا لمن استضعف منهم فدل ان استضعافهم كان مقصورا على المومنين واذا رجع الى الذين استضعفوا لم يكن الاستضعاف مقصورا عليهم ودل ان المستضعفين كانوا مومنين وكافرين اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه شي قالوه على سبيل الطعن والسخرية كما تقول للمجسمة اتعلمون ان الله فوق العرش فان قلت كيف صح قولهم انا بما ارسل به مومنون جوابا عنه قلت سالوهم عن العلم بارساله فجعلوا ارساله امرا معلوما مكشوفا مسلما لا يدخله ريب كانهم قالوا العلم بارساله وبما ارسل به ما لا كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وانارته وانما الكلام في وجوب الايمان به فنخبركم انا به مومنون ولذلك كان جواب الكفرة انا بالذي امنتم به كافرون فوضعوا امنتم به موضع ارسل به ردا لما جعله المومنون معلوما واخذوه مسلما فعقروا الناقة اسند العقر الى جميعهم لانه كان برضاهم وان لم يباشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة الضخمة انتم فعلتم كذا وما فعله الا واحد منهم وعتوا عن امر ربهم ما امر به على لسان صالح ع من قوله فذروها تاكل في ارض الله او شان ربهم وهو دينه ويجوز ان يكون المعنى وصدر عتوهم عن امر ربهم كان امر ربهم بتركها كان هو السبب في عتوهم ونحو عن هذه ما في قوله وما فعلته عن امري ايتنا بما تعدنا اراد وامن العذاب وانما جاز

الاطلاق لانه كان معلوما واستعجا لهم له لتكذيبهم به ولذلك علقوه بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين الرجفة الصيحة التي زلزلت لها الارض واضطربوا لها في دارهم في بلادهم او في مساكنهم جاثمين هامدين لا يتحركون موتى يقال الناس جثم اى قعود لا حراك ولا ينبسون نبسة ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى وعن جابر ان رسول الله صلعم لما مر بالحجر قال لا تسالوا الايات فقد سالها قوم صالح فاخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في حرم الله قالوا من هو قال ذاك ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب قومه وروى ان صالحا كان بعثه الى قومه فخالف امره وروى انه مر بقبر ابي رغال فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم فذكر قصة ابي رغال وانه دفن هاهنا ودفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه باسيافهم فاستخرجوا الغصن فتولى عنهم الظاهر انه كان مشاهدا لما جرى عليهم وانه تولى عنهم بعد ما ابصرهم جاثمين تولي مغتم متحسر على ما فاته من ايمانهم يتحزن لهم ويقول يا قوم لقد بذلت فيكم وسعي وطاقتي جهدا في ابلاغكم والنصيحة لكم ولكنكم لا تحبون الناصحين ويجوز ان يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم لاصرارهم حين راى العلامات قبل نزول العذاب وروى ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروى انه خرج في ماية وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فراى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسماية دار وروى انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم فان قلت كيف صح خطاب الموتى وقوله ولكن لا تحبون الناصحين قلت قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه فلم يسمع منه حتى القى بنفسه في التهلكة يا اخي كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل مني وقوله ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية ولوطا وارسلنا لوطا واذ ظرف لارسلنا او واذكر لوطا واذ بدل منه بمعنى واذكر وقت قال لقومه اتاتون الفاحشة اتفعلون السيئة المتمادية في القبح ما سبقكم بها ما عملها قبلكم والباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله ومنه قوله عم سبقك بها عكاشة من احد من العالمين من الاولى زايدة لتوكيد النفي وافادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة مستانفة انكر عليهم اولا بقوله اتاتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال انتم اول من عملها او على انه جواب لسوال مقدر كانهم قالوا لم لا ناتيها فقال ما سبقكم بها احد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به اينكم لتاتون الرجال بيان لقوله اتاتون الفاحشة

والهمزة مثلها في اتاتون للانكار والتعظيم وقرى انكم على الاخبار المستانف لتاتون الرجال من اتى المراة اذا غشيها شهوة مفعول له اى للاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة من غير داع اخر ولا ذم اعظم منه لانه وصف لهم بالبهيمية وانه لا داعي لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه او حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين الى السماجة بل انتم قوم مسرفون اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعو الى اتباع الشهوة وهواهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود في كل شي فمن ثم اسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد ونحوه بل انتم قوم عادون وما كان جواب قومه الا ان قالوا يعني ما اجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عم من انكار الفاحشة وتعظيم امرها ووسمهم بسمة الاسراف الذي هو اصل الشر كله ولكنهم جاوا بشي اخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المومنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونهم من وعظهم ونصحهم وقولهم انهم اناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخار بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء اذا وعظهم ابعدوا عنا هذا المتقشف وارحونا من هذا المتزهد واهله ومن يختص به من ذويه او من المومنين من الغابرين من الذين غبروا في ديارهم اى بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سذوم وروى انها التفتت فاصابها حجر فماتت وقيل كانت المؤتفكة خمس مداين وقيل كانوا اربعة الاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروى ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه فان قلت اى فرق بين مطر وامطر قلت يقال مطرتهم السماء وواد ممطور وفي نوابغ الكلم حرى غير مطور حرى ان يكون غير ممطور ومعنى مطرتهم اصابتهم بالمطر كقولهم غاثتهم وبلتهم وجادتهم ورهمتهم ويقال امطرت عليهم كذا بمعنى ارسلته عليهم ارسال المطر فامطر علينا حجارة من السماء وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ومعنى وامطرنا عليهم مطرا وارسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا يعني الحجارة الا ترى الى قوله فسا مطر المنذرين كان يقال لشعيب خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين قد جاتكم بينة من ربكم معجزة شاهدة بصحة نبوتي اوجبت عليكم الايمان بي والاخذ

بما آمركم به والانتهاء عما انهيكم عنه فاوفوا ولا تبخسوا فان قلت ما كانت معجزته قلت قد
وقع العلم بانه كانت له معجزة لقوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولانه لا بد لمدعي النبوة من معجزة
تشهد له وتصدقه والا لم تصح دعواه وكان متنبيا لا نبيا غير ان معجزته لم تذكر في القران كما
لم يذكر اكثر معجزات نبينا فيه ومن معجزات شعيب ع ما روي من محاربة عصا موسى التنين
وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده ان تكون له الدرع من اولادها ووقوع عصا آدم على
يده في المرات السبع وغير ذلك من الآيات لان هذه كلها كانت قبل ان يستنبأ موسى فكانت
معجزات لشعيب فان قلت كيف قيل الكيل والميزان وهلا قيل المكيال والميزان كما في سورة هود قلت
اريد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال وسمي ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به او اريد فاوفوا
الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر ويقال بخسته حقه
اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وفي امثالهم تحسبها حمقا وهي باخس وقيل اشياءهم لانهم
كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعتهم وكانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه كما يفعل
امراء الحرمين وروي انهم كانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي
زيوف فقطعوها قطاعا ثم اخذوا بنقصان ظاهر واعطوه بدلها زيوفا بعد اصلاحها بعد
الاصلاح فيها اي لا تفسدوا فيها بعد ما اصلح فيها الصالحون من الانبياء واتباعهم العاملين
بشرائعهم واضافته كاضافة قوله بل مكر الليل والنهار بمعنى بل مكركم في الليل والنهار او بعد اصلاح
اهلها على حذف المضاف ذلكم اشارة الى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والافساد في
الارض او الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى خير لكم يعني في الانسانية وحسن الاحدوثة
وما تطلبونه من التكسب والتربح لان الناس ارغب في متاجرتكم اذا عرفوا منكم الامانة والسوية
ان كنتم مؤمنين ان كنتم مصدقين لي في قولي ذلكم خير لكم ولا تقعدوا بكل صراط ولا تقتدوا بالـ
شيطان في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط اي بكل منهاج من مناهج
الدين والدليل على ان المراد بالصراط سبيل الحق قوله وتصدون عن سبيل الله ومحل توعدون وما
عطف عليه النصب على الحال اي ولا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغيها عوجا
فان قلت صراط الحق واحد وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فكيف
قيل بكل صراط قلت صراط الحق واحد ولكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام كثيرة مختلفة
فكانوا اذا راوا احدا يشرع في شيء منها اوعدوه وصدوه فان قلت الام يرجع الضمير في آمن به

قلت الى كل صراط تقديره توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله
موضع الضمير زيادة في تقبيح امرهم ودلالة على عظم ما يصدون عنه وقيل كانوا يجلسون على الطرق
والمراصد فيقولون لمن مر بهم ان شعيبا كذاب فلا يفتننكم عن دينكم كما كان يفعل قريش
بمكة وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا
اي تصفونها للناس بانها سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها او
يكون تهكما بهم وانهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا يعوج واذكروا اذ كنتم قليلا
اذ مفعول به غير ظرف اي واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم فكثركم الله
ووفر عددكم وقيل ان مدين بن ابرهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها
بالبركة والنماء فكثروا وفشوا ويجوز اذ كنتم مقلين فقراء فكثركم فجعلكم مكثرين موسرين او كنتم
اقلة اذلة فاعزكم بكثرة العدد والعدد عاقبة المفسدين آخر امر من افسد قبلكم من الامم
كقوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا قريبي العهد مما اصاب المؤتفكة فاصبروا فتربصوا و
انتظروا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بان ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا
وعيد للكافرين بانتقام الله منهم كقوله فتربصوا انا معكم متربصون او هو عظة للمؤمنين و
حث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من اذى المشركين الى ان يحكم الله بينهم وينتقم لهم
منهم ويجوز ان يكون خطابا للفريقين اي ليصبر المؤمنون على اذى الكفار وليصبر الكفار على ما
يسوءهم من ايمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب وهو خير الحاكمين لان حكمه
حق وعدل لا يخاف فيه الحيف اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم واما عودكم الى الكفر فان
قلت كيف خاطبوا شعيبا ع بالعود في الكفر في قولهم او لتعودن في ملتنا وكيف اجابهم بقوله
ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها والانبياء لا يجوز عليهم
الصغاير الا ما ليس فيه تنفير فضلا عن الكباير فضلا عن الكفر قلت لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين
آمنوا معك عطفوا على ضميره الذين دخلوا في الايمان منهم بعد كفرهم قالوا او لتعودن فغلبوا
الجماعة على الواحد فجعلوهم عائدين جميعا اجراء للكلام على حكم التغليب وعلى ذلك اجرى شعيب ع
جوابه فقال ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وهو يريد عود قومه الا انه نظم نفسه في
جملتهم وان كان بريا من ذلك اجراء لكلامه على حكم التغليب فان قلت فما معنى قوله وما يكون لنا
ان نعود فيها الا ان يشاء الله والله تعالى متعال ان يشاء ردة المؤمنين وعودهم في الكفر قلت معناه

الا ان يشاء الله خذلاننا ومَنْعَنا الالطاف لعلمه انها لا تنفع فينا وتكون عبثًا والعبث قبيح
لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله وسع ربنا كل شيء علمًا اى هو عالم بكل شيء مما كان وما يكون
فهو يعلم احوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب وكيف تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة
وترجع الى الكفر بعد الايمان على الله توكلنا فى ان يثبتنا على الايمان ويوفقنا لازدياد الايقان
ويجوز ان يكون قوله الا ان يشاء الله حسمًا لطمعهم فى العود لان مشيئة الله لعودهم فى الكفر محال
خارج عن الحكمة اولو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو واو الحال تقديره انعيدوننا
فى ملتكم فى حال كراهتنا ومع كوننا كارهين وما يكون لنا وما ينبغى لنا وما يصح ربنا افتح بيننا
احكم والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف بان تنزل عليهم
عذابًا يتبين معه انهم على الباطل وانت خير الفاتحين كقوله وهو خير الحاكمين فان قلت كيف اسلوب
قوله قد افترينا على الله كذبًا ان عدنا فى ملتكم قلت هو اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان احدهما
ان يكون كلامًا مستانفًا فيه معنى التعجب كانهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا فى الكفر بعد الايمان
لان المرتد ابلغ فى الافتراء من الكافر لان الكافر مفتر على الله الكذب حيث يزعم ان لله ندًّا ولا ند
له والمرتد مثله فى ذلك وزائد عليه حيث يزعم انه قد تبين له ما خفى عليه من التمييز بين الحق
والباطل والثانى ان يكون قسمًا على تقدير حذف اللام بمعنى والله لقد افترينا على الله كذبًا
وقال الملأ الذين كفروا من قومه اى اشرافهم للذين دونهم يثبطونهم عن الايمان لئن اتبعتم
شعيبًا انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم الضلالة بالهدى كقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
فما ربحت تجارتهم وقيل تخسرون باتباعه فوائد البخس والتطفيف لانه ينهاكم عنهما
ويحملكم على الايفاء والتسوية فان قلت ما جواب القسم الذى وطأته اللام فى لئن اتبعتم وجواب
الشرط قلت قوله انكم اذا لخاسرون ساد مسد الجوابين الذين كذبوا شعيبًا مبتدأ خبره كان
لم يغنوا فيها وكذلك كانوا هم الخاسرين وفى هذا الابتداء معنى الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا
شعيبًا هم المخصوصون بان اهلكوا واستؤصلوا كان لم يقيموا فى دارهم لان الذين اتبعوا شعيبًا قد
انجاهم الله الذين كذبوا شعيبًا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم الرابحون وفى
هذا الاستيناف والابتداء وهذا التكرير مبالغة فى رد مقالة الملأ لاشياعهم وتسفيه لرايهم
واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم الاسى شدة الحزن قال العجاج واغلنت
عيناه من فرط الاسى اشتد حزنه على قومه ثم انكر على نفسه فقال فكيف يشتد حزنى على قوم ليسوا

بعد ٤

باهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم ويجوز ان يريد لقد اعذرت اليكم فى الابلاغ و
النصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولى ولم تصدقونى فكيف آسى عليكم يعنى انه لا ياسى
عليهم لانهم ليسوا احقاء بالاسى وقرا يحيى بن وثاب فكيف ايسى بكسر الهمزة الا اخذنا اهلها بالبا
ساء بالبؤس والفقر والضراء بالضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه لعلهم يضرعون
ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اى اعطيناهم
بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة والصحة كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات
حتى عفوا كثروا ونموا فى انفسهم واموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر اذا
كثرت ومنه قوله عم واعفوا اللحى وقال الحطيئة بمستاسد القريان عاف نباته وقال ولكنا نعض
السيف منها باسوق عافيات الشحم كوم وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء يعنى وابطرتهم
النعمة واشروا فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب فى الناس بين الضراء والسراء وقد مس
آباءنا نحو ذلك وما هو بابتلاء من الله لعباده فلم يبق بعد ابتلائهم بالسيئات والحسنات الا ان
اخذهم بالعذاب فاخذناهم اشد الاخذ وافظعه وهو اخذهم فجاءة من غير شعور منهم اللام فى
القرى اشارة الى التى دل عليها قوله وما ارسلنا فى قرية من نبى كانه قال ولو ان اهل تلك القرى
الذين كذبوا واهلكوا آمنوا بدل كفرهم واتقوا المعاصى مكان ارتكابها لفتحنا عليهم بركات من
السماء والارض لآتيناهم بالخير من كل وجه وقيل اراد المطر والنبات ولكن كذبوا فاخذناهم
بسوء كسبهم ويجوز ان يكون اللام فى القرى للجنس فان قلت ما معنى فتح البركات عليهم قلت
تيسيرها عليهم كما ييسر امر الابواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتحت على القارى اذا تعذرت
عليه القراءة فيسرتها عليه بالتلقين البيات يكون بمعنى البيتوتة يقال بات بياتًا ومنه قوله
نجاها باسنا بياتًا او هم قائلون ويكون بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بيته العدو
بياتًا فيجوز ان يراد ان ياتيهم باسنا بائتين او وقت بيات او مبيتًا او مبيتين ويكون بمعنى
تبييتًا كانه قيل ان يبيتهم باسنا بياتًا وضحى نصب على الظرف يقال اتيته ضحى وضحيًا وضحاء والضحى
فى الاصل اسم لضوء الشمس اذا اشرقت فارتفعت والفاء والواو فى افامن واومن حرفا عطف دخلت
عليهما همزة الانكار فان قلت ما المعطوف عليه ولم عطفت الاولى بالفاء والثانية بالواو قلت
المعطوف عليه قوله فاخذناهم بغتة وقوله ولو ان اهل القرى الى يكسبون وقع اعتراضًا بين المعطوف
والمعطوف عليه وانما عطف بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا فاخذناهم بغتة ابعد ذلك امن اهل القرى

الاسا ملتبس بالا

بدل الغريم هكذا كان فى نسخة منه وهذا اصل وبعد السمع ... مكان ارتكابها

ان ياتيهم باسنا بياتا وامنوا ان ياتيهم باسنا ضحى وقرى اوامن على العطف باو وهم يلعبون يشتغلون
بما لا يجدى عليهم كانهم يلعبون فان قلت فلم رجع فعطف بالفا قوله افامنوا مكر الله قلت هو
تكرير لقوله افامن اهل القرى ومكر الله استعارة لاخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه فعلى
العاقل ان يكون فى خوفه من مكر الله كالمحارب الذى يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة
وعن الربيع بن خثيم ان ابنته قالت له ما لى ارى الناس ينامون ولا اراك تنام قال يا بنتاه ان
اباك يخاف البيات اراد قوله ان ياتيهم باسنا بياتا اذا قرى اولم يهد بالياء كان ان لو نشاء
مرفوعا بانه فاعله بمعنى اولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم فى ديارهم ويرثونهم ارضهم هذا
الشان وهو انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم واهلكنا الوارثين كما اهلكنا المورثين
واذا قرى بالنون فهو منصوب كانه قيل اولم يهد الله للوارثين هذا الشان بمعنى اولم يبين لهم
انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وانما عدى فعل الهداية باللام لانه بمعنى
التبيين فان قلت بم تعلق قوله ونطبع على قلوبهم قلت فيه اوجه ان يكون معطوفا على ما دل
عليه معنى اولم يهد كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم او على يرثون الارض او يكون
منقطعا بمعنى ونحن نطبع على قلوبهم فان قلت هل يجوز ان يكون ونطبع بمعنى وطبعنا كما كان
لو نشاء بمعنى لو شئنا ويعطف على اصبناهم قلت لا يساعد عليه المعنى لان القوم كانوا مطبوعا
على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والاصابة بها وهذا التفسير يؤدى
الى خلوهم عن هذه الصفة وان الله لو شاء لاتصفوا بها تلك القرى نقص عليك من انبائها كقوله
هذا بعلى شيخا فى انه مبتدا وخبر وحال ويجوز ان يكون القرى صفة لتلك ونقص خبرا وان يكون
القرى نقص خبرا بعد خبر فان قلت ما معنى تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا قلت هو مفيد
ولكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة فى قولك هو الرجل الكريم فان قلت
ما معنى الاخبار عن القرى بنقص عليك من انبائها قلت معناه ان تلك القرى المذكورة نقص عليك
فما كانوا ليومنوا عند مجى الرسل بالبينات بما كذبوه من آيات الله من قبل مجى الرسل او
فما كانوا ليومنوا الى آخر اعمارهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل اى استمروا على التكذيب من
لدن مجى الرسل اليهم الى ان ماتوا مصرين لا يرعوون ولا تلين شكيمتهم فى كفرهم وعنادهم مع تكرر
المواعظ عليهم وتتابع الايات ومعنى اللام تاكيد النفى وان الايمان كان منافيا لحالهم فى التصميم
على الكفر وعن مجاهد هو كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه كذلك مثل ذلك الطبع الشديد يطبع

اتاها ولها
لم نقصها

الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد الضمير للناس على الاطلاق اى وما وجدنا لاكثر
الناس من عهد يعنى ان اكثرهم نقض عهد الله وميثاقه فى الايمان والتقوى وان وجدنا وان
الشان والحديث وجدنا اكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة والاية اعتراض ويجوز ان
يرجع الضمير الى الامم المذكورين وانهم كانوا اذا عاهدوا الله فى ضر ومخافة لئن انجيتنا لنومنن
ثم انجيهم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عم لئن كشفت عنا الرجز لنومنن الى قوله اذا هم ينكثون
والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول ان المخففة واللام الفارقة
ولا يسوغ ذلك الا فى المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما من بعدهم الضمير للرسل فى قوله
ولقد جاءتهم رسلهم او للامم فظلموا بها فكفروا باياتنا اجرى الظلم مجرى الكفر لانهما من واد واحد
ان الشرك لظلم عظيم او فظلموا الناس بسببها حين اوعدوهم وصدوهم عنها واذوا من امن بها
ولانه اذا وجب الايمان بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما فلذلك قيل فظلموا بها اى كفروا
بها واضعين الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك
فارس الاكاسرة فكانه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان حقيق
على ان لا اقول على الله الا الحق فيه اربع قراءات المشهورة وحقيق على ان لا اقول وهى قراءة نافع
وحقيق ان لا اقول وهى قراءة عبد الله وحقيق بان لا اقول وهى قراءة ابى وفى المشهورة اشكال
ولا يخلو من وجوه احدها ان يكون مما يقلب من الكلام لامن الالباس كقوله وتشقى الرماح
بالضياطرة الحمر ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح وحقيق على ان لا اقول وهى قراءة نافع
والثانى ان ما لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق اى
لازما له والثالث ان يضمن حقيق معنى حريص كما ضمن هيجنى معنى ذكرنى فى بيت الكتاب والرابع
وهو الاوجه الادخل فى نكت القران ان يغرق موسى عم فى وصف نفسه بالصدق فى ذلك
المقام لا سيما وقد روى ان عدو الله فرعون قال له لما قال انى رسول من رب العالمين كذبت
فيقول انا حقيق على قول الحق اى واجب على قول الحق ان اكون انا قائله والقائم به ولا
يرضى الا بمثلى ناطقا به فارسل معى بنى اسرائيل فخلهم حتى يذهبوا معى الى الارض المقدسة التى
هى وطنهم ومولد ابائهم وذلك ان يوسف عم لما توفى وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم
واستعبدهم فانقذهم الله بموسى وكان بين اليوم الذى دخل يوسف مصر واليوم الذى دخل
موسى اربع مائة عام فان قلت كيف قال له فات بها بعد قوله ان كنت جئت باية قلت معناه

اى فى صحته بهذا الوجه
اذا تعنى ... ولو تعرضت ...

ما ينبغي له

ان كنت جيت من عند من ارسلك بآية فات بها واحضرها عندي ليصح دعواك ويثبت صدقك
ثعبان مبين ظاهر امره لا يشكل في انه ثعبان وروي انه كان ثعبانا ذكرا اشعر فاغرا فاه بين
لحييه ثمانون ذراعا وضع لحييه الاسفل في الارض ولحييه الاعلى سور القصر ثم توجه نحو فرعون
لياخذه فوثب فرعون من سريره وهرب واحدث ولم يكن احدث قبل ذلك وهرب الناس و
صاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة وعشرون الفا قتل بعضهم بعضا ودخل
فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرايل فاخذه موسى
فعاد عصا فان قلت بم يتعلق للناظرين قلت يتعلق ببيضاء والمعنى فاذا هي بيضاء للنظارة ولا
تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه
كما يجتمع النظارة للعجايب وذلك ما روي انه اري فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم
ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعها
شعاع الشمس وكان موسى ع آدم شديد الادمة ان هذا لساحر عليم اي عالم بالسحر ماهر فيه
قد اخذ عيون الناس بخدعة من خدعه حتى خيل اليهم العصا حية والآدم ابيض فان قلت
قد عزي هذا الكلام الى فرعون في سورة الشعراء وانه قاله للملا وعزي ههنا اليهم قلت
قد قاله وقالوه هو فحكي قوله ثم وقولهم ههنا او قاله ابتداء فتلقنه منه الملا فقالوه لا
عقابهم او قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الراي فيكلم به من
يليه من الخاصة ثم يبلغه الخاصة العامة والدليل عليه انهم اجابوه في قولهم ارجه واخاه
وارسل في المداين حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم وقري سحار اي ياتوك بكل ساحر مثله في
العلم والمهارة او بخير منه وكانت هذه مؤامرة مع القبط وقولهم فماذا تامرون من امرته
فامرني بكذا اذا شاورته فاشار عليك براي وقيل فماذا تامرون من كلام فرعون قاله للملا لما
قالوا له ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم كانه قيل قال فماذا تامرون قالوا ارجه واخاه و
معنى ارجه واخاه اخرهما واصدرهما عنك حتى ترى رايك فيهما وتدبر امرهما وقيل احبسهما وقري
ارجيه بالهمز وارجه من ارجاه وارجاه فان قلت هلا قيل وجاء السحرة فرعون فقالوا قلت
هو على تقدير سايل سال ما قالوا اذ جاءه فاجيب بقوله قالوا ان لنا لاجرا اي جعلا على الغلبة
وقري ان لنا لاجرا على الاخبار واثبات الاجر العظيم وايجابه كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير
للتعظيم كقول العرب ان له لابلا وان له لغنما يقصدون الكثرة فان قلت وانكم لمن المقربين ما

حيث يطلع الناس

الذي

الذي عطف عليه قلت هو معطوف على محذوف سد مسده حرف الايجاب كانه قال ايجابا
لقولهم ان لنا لاجرا نعم ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين اراد اني لا اقتصر بكم على الثواب وحده
وان لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لان المثاب انما يتهنا بما يصل اليه
ويغتبط به اذا نال معه الكرامة والرفعة وروي انه قال لهم تكونون اول من يدخل واخر
من يخرج وروي انه دعا برؤسا السحرة ومعلميهم فقال لهم ما صنعتم قالوا قد عملنا سحرا
لا يطيقه سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا من السما فانه لا طاقة لنا به وروي انهم كانوا ثمانين
الفا وقيل سبعين الفا وقيل بضعة وثلاثين الفا واختلفت الروايات فمن مقل ومن
مكثر وقيل كان يعلمهم مجوسيان من اهل نينوى وقيل قال فرعون لا نغالب موسى الا بما هو منه
يعني السحر تخييرهم اياه ادب حسن راعوه معه كما يفعل اهل الصناعات اذا التقوا كالمتناظرين
قبل ان يتخاوضوا في الجدال والمتصارعين قبل ان ياخذوا في الصراع وقولهم واما ان نكون
نحن الملقين فيه ما يدل على رغبتهم في ان يلقوا قبله من تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف
الخبر او تعريف الخبر واقحام الفصل وقد سوغ لهم موسى ما تراغبوا فيه ازدرا لشانهم و
قلة مبالاة بهم وثقة بما كان بصدده من التاييد السماوي وان المعجزة لن يغلبها سحر
ابدا سحروا اعين الناس اروها بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه كقوله
يخيل اليه من سحرهم انها تسعى روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي امثال الحيات
قد ملات الارض وركب بعضها بعضا واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم استدعوا
رهبتهم بسحر عظيم في باب السحر روي انهم لونوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة
قيل جعلوا فيها الزيبق ما يافكون ما موصولة او مصدرية بمعنى ما يافكونه اي يقلبونه عن الحق
الى الباطل ويزورونه او افكهم تسمية للمافوك بالافك روي انها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب
والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت واعدم الله بقدرته تلك الاجرام العظيمة
او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق
فحصل وثبت ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم اي فاثر فيها من قولهم قاس وقيع وانقلبوا
صاغرين وصاروا اذلاء مبهوتين والقي السحرة وخروا سجدا كانما القاهم ملق لشدة خرو
رهم وقيل لم يتمالكوا مما راوا فكانهم القوا عن قتادة كانوا اول النهار كفارا سحرة وفي اخره
شهدا بررة وعن الحسن تراه ولد في الاسلام ونشا بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهولا

٣٧

كما نشأوا في الكفر بدلوا انفسهم لله آمنتم به على الاخبار اى فعلتم هذا الفعل الشنيع توبيخًا لهم
وتقريعًا وقرئ أآمنتم بحرف الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد ان هذا لمكر مكرتموه
في المدينة ان صنعكم هذا لحيلة احتلتموها انتم وموسى في مصر قبل ان تخرجوا منها الى هذه
الصحرا قد تواطأتم على ذلك لغرض لكم وهو ان تخرجوا منها القبط وتسكنوا بني اسرائيل وكان
هذا الكلام من فرعون تمويهًا على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الايمان وروي ان موسى قال
للساحر الاكبر اتؤمن بي ان غلبتك قال لآتين بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتني لأومنن بك
وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال فسوف تعلمون وعيد اجمله ثم فصله بقوله لاقطعن وقرئ
لاقطعن بالتخفيف وكذلك ثم لاصلبنكم من خلاف من كل شق طرفًا وقيل ان اول من قطع
من خلاف وصلب لفرعون انا الى ربنا منقلبون فيه اوجه ان يريدوا انا لا نبالي بالموت
لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك او ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على
شدائد القطع والصلب او انا جميعًا يعنون انفسهم وفرعون ننقلب الى الله فيحكم بيننا او انا لا
محالة ميتون منقلبون الى الله فما تقدر ان تفعل بنا الا ما لا بد لنا منه وما تنقم منا الا ان
آمنا وما تعيب منا الا الايمان بآيات الله ارادوا وما تعيب منا الا ما هو اصل المناقب والمفا
خر كلها وهو الايمان ومنه قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم افرغ علينا صبرًا اهب لنا صبرًا او
اسعًا واكثر علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء افراغًا وعن بعض السلف ان احدكم ليفر
غ على اخيه ذنوبًا ثم يقول قد مازحتك اى يغمره بالحيا والخجل او صب علينا ما يطهرنا من
اوضار الآثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون لانهم علموا انهم اذا استقاموا وصبروا كان
ذلك مطهرة لهم وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام ويذرك عطف على ليفسدوا لانه اذا تركهم
ولم يمنعهم وكان ذلك مؤديًا الى ما دعوه فسادًا او الى تركه وترك آلهته فكانه تركهم لذلك او هو
جواب للاستفهام بالواو كما يجاب بالفا نحو قول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المو
دة والاخاء والنصب باضمار ان تقديره ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وآلهتك وقرئ
ويذرك وآلهتك بالرفع عطفًا على اتذر بمعنى اتذره وايذرك اى اتطلق له ذلك او يكون مستانفًا او
حالًا على معنى اتذره وهو يذرك وآلهتك وقرا الحسن ويذرك بالجزم كانه قيل يفسدوا كما قرئ
واكن من الصالحين كانه قيل اصدق وقرا انس رضه ونذرك بالنون والنصب اى يصرفنا
عن عبادتك فنذرها وقرئ ويذرك والاهتك اى عبادتك وروي انهم قالوا له ذلك لانه وافق السحرة

على الايمان ستمائة الف نفس فارادوا بالفساد في الارض ذلك وخافوا ان يغلبوا على الملك وقيل
صنع فرعون لقومه اصنامًا وامرهم ان يعبدوها تقربًا اليه كما تعبد عبدة الاصنام الا
صنام ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ولذلك انا ربكم الاعلى سنقتل ابناءهم يعني
سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل الابنا ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر
وانهم مقهورون تحت ايدينا كما كانوا وان غلبة موسى لا اثر لها في ملكنا واستيلائنا ولئلا
تتوهم العامة انه هو المولود الذي تحدث المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم
ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه وانه منتظر بعد قال موسى لقومه استعينوا بالله قال لهم
ذلك حين قال فرعون سنقتل ابناءهم فجزعوا منه وتضجروا ليسكنهم ويسليهم ويعدهم النصرة
عليهم ويذكر لهم ما وعد الله بني اسرائيل من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم فان قلت
لم اخليت هذه الجملة عن الواو وادخلت على التي قبلها قلت هي جملة مبتدأة مستانفة
واما وقال الملا فمعطوفة على ما سبقها من قوله قال الملا من قوم فرعون وقوله ان الارض
لله يجوز ان تكون اللام للعهد وتراد ارض مصر خاصة كقوله واورثنا الارض وان تكون للجنس
فتتناول ارض مصر لانها من جنس الارض كما قال ضمرة انما المرء باصغريه فاراد بالمرء الجنس وغرضه
ان يتناوله تناولًا اوليًا والعاقبة للمتقين بشارة بان الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن
القبط وان المشية متناولة لهم وقرا ابي وابن مسعود والعاقبة للمتقين بالنصب عطفًا
على الارض اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل ابنائهم قبل مولد موسى
الى ان استنبئ واعادته عليهم بعد ذلك وما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع
الخدم والمهن ويمسون به من العذاب عسى ربكم ان يهلك عدوكم تصريح بما رمز اليه
من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده في ارض مصر فينظر كيف
تعملون فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب
ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد رحمه الله انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف
او رغيفان فطلب زيادة لعمرو فلم توجد فقرا عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعد ما
استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون بالسنين بسني القحط والسنة
من الاسماء الغالبة كالدابة والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا منها فقالوا اسنت القوم بمعنى اقحطوا
وقال ابن عباس اما السنون فكانت لباديتهم واهل مواشيهم واما نقص الثمرات فكان في امصارهم

عن ابي

ومن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة لعلهم يذكرون فيتنبهوا على ان
ذلك لاصرارهم على الكفر وتكذيبهم بآيات الله ولان الناس في حال الشدة اضرع خدوداً والين
اعطافاً وارق افئدة وقيل عاش فرعون اربع مائة سنة ولم ير مكروهاً في ثلثمائة وعشرين
سنة ولو اصابه في تلك المدة وجع او جوع او حمى لما ادعى الربوبية فاذا جاءتهم الحسنة من
الخصب والرخاء قالوا لنا هذه اي هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها ولم نزل في النعمة
والرفاهية واللام مثلها في قولك الجل للفرس وان تصبهم سيئة من ضيقة وجدب يطيروا
بموسى ومن معه يتطيروا بهم ويتشاءموا ويقولوا هذا بشومهم ولولا مكانهم لما اصابتنا كما قالت
الكفرة لرسول الله م هذه من عندك فان قلت كيف قيل فاذا جاءتهم الحسنة باذا وتعريف
الحسنة وان تصبهم سيئة بان وتنكير السيئة قلت لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته وا
تساعه واما السيئة فلا تقع الا في الندرة ولا يقع الا شيء منها ومنه قول بعضهم قد عددت
ايام البلاء فهل عددت ايام الرخاء طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو
حكمه ومشيئته والله هو الذي يشاء ما يصيبهم من الحسنة والسيئة وليس شوم احد ولا يمنه
بسبب فيه كقوله قل كل من عند الله ويجوز ان يكون معناه الا انما سبب شومهم عند الله وهو
عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم وما يسوءهم لاجله ويعاقبون له بعد موتهم بما وعد
هم الله في قوله النار يعرضون عليها الآية ولا طائر اشأم من هذا وقرأ الحسن انما طيركم عند الله
وهو اسم لجمع طائر غير تكسير ونظيره التجر والركب وعند ابي الحسن هو تكسير مهما هي ما
المضمنة معنى الجزاء ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى ما تخرج اخرج اينما
تكونوا يدرككم الموت فاما تذهبن بك الا ان الالف قلبت هاء استثقالاً لتكرير المتجانسين
وهو المذهب السديد البصري ومن الناس من زعم ان مه هي الصوت الذي يصوت به
الكاف وما للجزاء كانه قيل كف ما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فان قلت
ما محل مهما قلت الرفع بمعنى ايما شيء تأتنا به او النصب بمعنى ايما تحضرنا تأتنا به ومن
آية تبيين لمهما والضميران في به وبها راجعان الى مهما الا ان احدهما ذكر على اللفظ والثاني
انث على المعنى لانه في معنى الآية ونحوه قول زهير ومهما يكن عند امرئ من خليقة وان خالها
تخفى على الناس تعلم وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية فيضعها
غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما ويقول مهما جئتني اعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام

واضع العربية في شيء ثم يذهب فيفسر مهما تأتنا به من آية بمعنى الوقت فيلحد في آيات
الله وهو لا يشعر به وهذا وامثاله مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه فان قلت
كيف سموها آية ثم قالوا لتسحرنا بها قلت ما سموها آية لاعتقادهم انها آية وانما سموها
اعتباراً لتسمية موسى وقصدوا بذلك الاستهزاء والتلهي الطوفان ما طاف بهم وغلبهم من
مطر او سيل قيل طغى الماء فوق حروثهم وذلك انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا
يرون شمساً ولا قمراً ولا يقدر احد ان يخرج من داره وقيل ارسل الله عليهم السماء حتى كادوا
يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا في
الماء الى تراقيهم فمن جلس غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه ارضهم وركد فمنعهم
ذلك منهم من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم سبعة ايام وعن ابي قلابة الطوفان الجدري
وهو اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون فقالوا لموسى ادع
لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع فما آمنوا فنبت لهم تلك السنة من الكلاء والزرع
ما لم يعهد مثله فاقاموا شهراً فبعث الله عليهم الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اكلت
كل شيء حتى الابواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء
ففزعوا الى موسى ووعدوه التوبة فكشف عنهم بعد سبعة ايام خرج موسى الى الفضاء فاشار
بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحي التي جاء منها فقالوا ما نحن بتاركي دينا
فاقاموا شهراً فسلط الله عليهم القمل وهو الحمنان في قول ابي عبيدة كبار القردان وقيل
الدبا وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها وقيل البراغيث وعن سعيد بن جبير السوس فاكل
ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم وبين جلده فيمصه وكان يأكل
احدهم طعاماً فيمتلئ قملاً وكان يخرج احدهم عشرة اجربة الى الرحا فلا يرد منها الا يسيراً
وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملاً فاخذت في
ابشارهم واشعارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كانه الجدري فصاحوا
وصرخوا وفزعوا الى موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك
ابداً فارسل الله عليهم بعد شهر الضفادع فدخلت بيوتهم وامتلأت منها آنيتهم واطعمتهم
فلا يكشف احد شيئاً من ثوب ولا طعام ولا شراب الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل اذا
اراد ان يتكلم وثب الضفدع الى فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم فلا يقدرون على

عنهم

جمع قراد

الرماد وكانت تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور فبكوا الى موسى وقالوا
ارحمنا هذه المرة فما بقي الا ان نتوب التوبة النصوح ولا نعود فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف
الله عنهم ثم نقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما فشكوا الى فرعون فقال
انه سحركم فكان يجمع بين القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما
يلي القبطي دما ويستقيان من ماء واحد فيخرج للقبطي الدم وللاسرائيلي الماء حتى ان المراة القبطية
تقول لجارتها الاسرائيلية اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فيّ فيصير الماء في فيها دما وعطش
فرعون حتى اشفى على الهلاك فكان يمص الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحا
اجاجا وعن سعيد بن المسيب سال عليهم النيل دما وقيل سلط الله عليهم الرعاف وروي
ان موسى عم مكث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الايات وروي انه
لما اراهم اليد والعصا ونقص النفوس والثمرات قال يا رب ان عبدك هذا قد علا في الارض فخذه
بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ولقومي عظة ولمن بعدي اية فحينئذ بعث الله عليهم الطوفان
ثم الجراد ثم ما بعده من النقم وقرا الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف ايات
مفصلات نصب على الحال ومعنى مفصلات مبينات ظاهرات لا يشكل على عاقل انها من
ايات الله التي لا يقدر عليها غيره وانها عبرة لهم ونقمة على كفرهم او فصل بين بعضها وبعض
بزمان يمتحن فيه احوالهم وينظر ايستقيمون على ما وعدوا من انفسهم ام ينكثون الزاما للحجة عليهم
بما عهد عندك ما مصدرية والمعنى بعهده عندك وهو النبوة والباء اما ان تتعلق بقوله ادع
لنا ربك على وجهين احدهما اسعفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله
وكرامته بالنبوة او ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك واما ان يكون قسما مجابا بلنؤمنن
اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الى اجل هم بالغوه الى
حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف
العذاب الى حلوله اذا هم ينكثون جواب لما يعني فلما كشفنا عنهم فاجاؤوا النكث وبادروه
لم يؤخروه ولكن كما كشف عنهم نكثوا فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم في اليم البحر الذي
لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لان المستنفعين به يقصدونه
بانهم كذبوا باياتنا اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالايات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها
القوم الذين كانوا يستضعفون هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه والارض ارض

مصر والشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا كيف شاؤوا في اطرافها و
نواحيها الشرقية والغربية باركنا فيها بالخصب وسعة الارزاق كلمة ربك الحسنى قوله ونريد
ان نمن على الذين استضعفوا الى قوله ما كانوا يحذرون والحسنى تانيث الاحسن صفة للكلمة
ومعنى تمت على بني اسرائيل مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه
بما صبروا بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على ان من قابل البلاء بالجزع
وكله الله اليه ومن قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له الفرج وعن الحسن عجبت ممن
خف كيف خف وقد سمع قوله وتلا الاية ومعنى خف طاش جزعا وقلة صبر ولم
يرزن رزانة اولي الصبر وقرا عاصم في رواية وتمت كلمات ربك الحسنى ونظيره من ايات
ربه الكبرى ما كان يصنع فرعون وقومه ما كانوا يعملون ويسوون من العمارات وبناء
القصور وما كانوا يعرشون من الجنات وهو الذي انشا جنات معروشات او وما
كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وقرئ يعرشون بال
الكسر والضم وذكر اليزيدي ان الكسر افصح وبلغني انه قرا بعض الناس يغرسون من غرس
وما احسبه الا تصحيفا منه وهذا اخر ما اقتص الله من نبا فرعون والقبط وتكذيبهم بايات الله
وظلمهم ومعاصيهم ثم اتبعه اقتصاص نبا بني اسرائيل وما احدثوه بعد انقاذهم من مملكة فر
عون واستعبادهم ومعاينتهم الايات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وطلب رؤية الله جهرة
وغير ذلك من انواع الكفر والمعاصي ليعلم حال الانسان وانه كما وصفه ظلوم كفار جهول كنود
الا من عصمه الله وقليل من عبادي الشكور وليسلي رسول الله مما راى من بني اسرائيل با
المدينة وروي انه عبر بهم موسى البحر يوم عاشوراء بعد ما اهلكه الله اي فرعون وقومه فصاموه شكرا لله
فاتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يواظبون على عبادتها ويلازمونها قال ابن جريج
كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل وقيل كانوا قوما من لخم وقيل كانوا من الكنعانيين
الذين امر موسى بقتالهم وقرئ وجوزنا بمعنى اجزنا يقال اجاز المكان وجوزه وجاوزه
بمعنى جازه كقولك اعلاه وعلاه وعالاه وقرئ يعكفون بضم الكاف وكسرها اجعل لنا الها صنما
نعكف عليه كما لهم الهة اصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة
بعدها وعن علي رض ان يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال قلتم اجعل
لنا الها ولما تجف اقدامكم انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما راوا من الاية العظمى والمعجزة

لخم اسم قبيلة

روي انه قال اليهودي ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه فقال انما اختلفنا عنه لا فيه ولكنكم ما جفت ارجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا الها كما لهم

اعظم

الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق واكده لانه لا جهل مما راى منهم ولا اشنع ان هولاء يعني عبدة تلك
التماثيل متبر ما هم فيه مدمر مكسر ما هم فيه من قولهم انا متبر اذا كان فضاضا ويقال لكسار
الذهب التبر اي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي ويحطم اصنامهم هذه ويتركها
رضاضا وباطل ما كانوا يعملون اي ما عملوا شيا من عبادتها فيما سلف الا وهو باطل مضمحل
لا ينتفعون به وان كان في زعمهم تقربا الى الله كما قال وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا وفي ايقاع هولاء اسما لان وتقديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة خبرا لها
وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب
ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا اغير الله ابغيكم الها اغير المستحق للعبادة اطلب
لكم معبودا وهو فضلكم فعل بكم ما فعل دون غيره من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها احدا غيركم
لتختصوه بالعبادة ولا تشركوا به غيره ومعنى الهمزة الانكار والتعجب من طلبتهم مع كونهم
مغمورين في نعمة الله عبادة غير الله يسومونكم سوء العذاب يبغونكم شدة العذاب من سام
السلعة اذا طلبها فان قلت ما محل يسومونكم قلت هو استيناف لا محل له ويجوز ان يكون حالا
من المخاطبين او من ال فرعون وذلكم اشارة الى الانجاء او الى العذاب والبلاء النعمة او
المحنة وقرى يقتلون بالتخفيف روي ان موسى ع وعد بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم
اتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما هلك فرعون سال موسى ربه
الكتاب فامره بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلاثين انكر خلوف فيه فتسوك
فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله اليه اما علمت ان
خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك فامره الله تعالى ان يزيد عليها عشرة ايام من ذي
الحجة لذلك وقيل امره الله تعالى بان يصوم ثلثين يوما وان يعمل فيها بما يقربه من الله ثم انزلت عليه
التورية في العشر وكلم فيها ولقد اجمل ذكر الاربعين في سورة البقرة وفصلها هاهنا فتم ميقات
ربه ما وقت له من الوقت وضربه له اربعين ليلة نصب على الحال اي تم بالغا هذا العدد
وهارون عطف بيان لاخيه وقرى بالضم على النداء اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح و
كن مصلحا او واصلح ما يجب ان يصلح من امور بني اسرائيل ومن دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه
ولا تطعه لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه وحددناه ومعنى اللام الاختصاص فكانه قيل واختص
مجيئه ميقاتنا كما تقول اتيته لعشر خلون من الشهر وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك

هذه العظيمة منه هبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فانه من منصوبات اشياخهم والقول ما قال
بعض العدلية فيهم لجماعة سموا هواهم سنة وجماعة فقد شبهوه بخلقه وتخوفوا شنعة
الورى فتستروا بالبلكفة وتفسير اخر وهو ان يريد بقوله ارني انظر اليك عرفني نفسك تعريفا
واضحا جليا كانها اراءة في جلائها باية مثل ايات القيامة التي تضطر الخلق الى معرفتك انظر
اليك اعرفك معرفة اضطرار كاني انظر اليك كما جاء في الحديث سترون ربكم كما ترون ليلة البدر
القمر بمعنى ستعرفونه معرفة جلية هي في الجلاء كابصاركم القمر اذا امتلا واستوى
قال لن تراني اي لن تطيق معرفتي على هذه الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك الاية المضطرة
ولكن انظر الى الجبل فاني اورد عليه واظهر له اية من تلك الايات فان ثبت لتجليها واستقر
مكانه ولم يتضعضع فسوف تثبت لها وتطيقها فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهرت له اية من ايات
قدرته وعظمته جعله دكا وخر موسى صعقا لعظم ما راى فلما افاق قال سبحانك تبت اليك
مما اقترحت وتجاسرت وانا اول المؤمنين بعظمتك وجلالك وان شيا لا يقوم لبطشك وبا
سك اصطفيتك على الناس اخترتك على اهل زمانك واثرتك عليهم برسالاتي وهي اسفار التورية وبكلا
مي وبتكليمي اياك فخذ ما اتيتك ما اعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على النعمة
في ذلك فهي من اجل النعم وقيل خر موسى صعقا يوم عرفة واعطي التورية يوم النحر فان قلت كيف
قيل اصطفيتك على الناس وكان هرون مصطفى مثله ونبيا قلت اجل ولكنه كان تابعا له وردا
ووزيرا والكليم هو موسى والاصيل في حمل الرسالة ذكروا في عدد الالواح وفي جوهرها و
طولها انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمرد جاء بها جبريل
وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل امر الله موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له
فقطعها بيده وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التورية وان
طولها كان عشرة اذرع وقوله من كل شيء في محل النصب مفعول كتبنا له وموعظة و
تفصيلا بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم من المواعظ وتفصيل
الاحكام وقيل انزلت التورية وهي سبعون وقر بعير يقرا الجزء منه في سنة لم يقراها الا اربعة
نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا
تشركوا بي شيا ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه
ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها فقلنا له خذها عطفا على كتبنا ويجوز ان يكون

الوالدين

حم لعمري موكفه

البلكفة من بلا كيف كالحولقة من لا حول ولا ق

الاسفار جمع سفر وهو الكتاب

بدلا من قوله فخذ ما اتيتك والضمير في فخذها للالواح او لكل شيء لانه في معنى الاشياء او للر
سالات او للتورية ومعنى بقوة بجد وعزيمة فعل اولي العزم من الرسل يأخذوا باحسنها
اي فيها ما هو حسن واحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم ان يحملوا على
انفسهم في الاخذ بما هو ادخل في الحسن واكثر للثواب كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم و
قيل يأخذوا بما هو واجب او ندب لانه احسن من المباح ويجوز ان يراد يأخذوا
بما امروا به دون ما نهوا عنه على قولك الصيف احر من الشتاء، ساريكم دار الفاسقين
يريد دار فرعون وقومه وهي مصر كيف اقفرت منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا
تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل منازل عاد وثمود والقرون الذين اهلكهم الله
لفسقهم في ممركم عليها في اسفاركم وقيل دار الفاسقين نار جهنم وقرا الحسن ساوريكم وهي
لغة فاشية بالحجاز يقال اورني كذا واوريته ووجهه ان يكون من اوريت الزند كان المعنى
بينه لي وانره لاستبينه وقرئ سأورثكم وهي قراءة حسنة يصححها قوله واورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون ساصرف عن اياتي بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون
فيها ولا يعتبرون بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم وعن الفضيل بن عياض
ذكر لنا رسول الله ع اذا عظمت امتي الدنيا نزع عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر با
لمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي وقيل ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا
كما اجتهد فرعون ان يبطل اية موسى بان جمع لها السحرة فابى الله الا علو الحق وانتكاس البا
طل ويجوز ساصرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها وتسميتها سحرا باهلاكهم وفيه انذار
للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن الايات لتكبرهم وكفرهم بها لئلا يكونوا مثلهم فيسلك
بهم سبيلهم بغير الحق فيه وجهان ان يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله
وحده وان يكون صلة لفعل التكبر اي يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم وان يروا كل اية
من الايات المنزلة عليهم لا يؤمنوا بها وقرا مالك بن دينار وان يروا بضم الياء وقرئ سبيل الرشد و
الرشد والرشاد كقولهم السقم والسقم والسقام وما اسفه من ركب المفازة فان راى طريقا
مستقيما اعرض عنه وتركه وان راى معتسفا مرديا اخذ فيه وسلكه ففاعل نحو ذلك في دينه
اسفه وذلك في محل الرفع او النصب على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وصرفهم الله ذلك
الصرف بسببه ولقاء الاخرة يجوز ان يكون من اضافة المصدر الى المفعول به اي ولقائهم الاخرة و

ومشاهدتهم احوالها ومن اضافة المصدر الى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله في الاخرة من بعده
من بعد فراقه اياهم الى الطور فان قلت لم قيل واتخذ قوم موسى عجلا والمتخذ هو السامري
قلت فيه وجهان احدهما ان ينسب الفعل اليهم لان رجلا منهم باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم
كما يقال بنو تميم قالوا كذا وفعلوا والقائل والفاعل واحد ولانهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين
به فكانهم اجمعوا عليه والثاني ان يراد واتخذوه الها وعبدوه وقرئ من حليهم بضم الحاء
والتشديد جمع حلي كثدي وثدي ومن حليهم بالكسر للاتباع كدلي ومن حليهم على التو
حيد والحلي اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة فان قلت لم قال من حليهم ولم تكن الحلي
لهم انما كانت عواري في ايديهم قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة وكونها عواري في ايديهم
كفى به ملابسة على انهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من املاكهم الا ترى الى قوله
عز وجل فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرائيل جسدا
بدنا ذا لحم ودم كسائر الاجساد والخوار صوت البقر قال الحسن ان السامري قبض قبضة من
تراب من اثر فرس جبريل يوم قطع البحر فقذفه في في العجل فكان عجلا له خوار وقرا علي رضي جؤار
بالجيم والهمزة من جار اذا صاح وانتصاب جسدا على البدل من عجلا الم يروا حين اتخذوه
الها انه لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته
لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق الى سبيل الحق ومناهجه بما ركز في العقول
من الادلة وبما انزل في كتبه ثم ابتدا فقال اتخذوه اي اقدموا على ما اقدموا عليه من الامر المنكر
وكانوا ظالمين واضعين كل شيء في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا اول مناكيرهم
ولما سقط في ايديهم ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان من شان من اشتد ندمه
وحسرته ان يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه قد وقع فيها وسقط مسند الى
في ايديهم وهو من باب الكناية وقرا ابو السميفع سقط في ايديهم على تسمية الفاعل اي وقع العض
فيها وقال الزجاج معناه سقط الندم في ايديهم اي في قلوبهم وانفسهم كما يقال حصل في يده مكروه
وان كان محالا ان يكون في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى
بالعين ورأوا انهم قد ضلوا وتبينوا ضلالهم تبينا كانهم ابصروه بعيونهم وقرئ لئن لم ترحمنا
وتغفر لنا بالتاء وربنا بالنصب على النداء وهذا كلام التائبين كما قال ادم وحوا عليهما السلام وان
لم تغفر لنا وترحمنا الاسف الشديد الغضب فلما اسفونا انتقمنا منهم وقيل هو الحزين خلفتموني

تمم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي وهذا الخطاب اما ان يكون لعبدة العجل من السامري
واشياعه او لوجوه بني اسرائيل وهم هرون عم والمومنون معه ويدل عليه قوله اخلفني في
قومي وفي المعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله او حيث لم تكفوا من عبد غير
الله فان قلت اين ما يقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم قلت الفاعل مضمر يفسره ما
خلفتموني والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم
فان قلت اي معنى لقوله من بعدي بعد قوله خلفتموني قلت معناه من بعد ما رايتم مني
من توحيد الله ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة له او من بعد ما كنت احمل بني اسرائيل على
التوحيد واكفهم عما طمحت نحوه ابصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم
الهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف من بعده لا يخالفونه ونحوه فخلف من
بعدهم خلف اي من بعد اولئك الموصوفين بالصفات الحميدة يقال عجل عن الامر اذا تركه
غير تام ونقيضه تم عليه واعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت
الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم
الامر على ان الميعاد قد بلغ آخره ولم ارجع اليكم فحدثتم انفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الامم
بعد انبيائهم وروي ان السامري قال لهم حين اخرج لهم العجل هذا الهكم واله موسى ان
موسى لن يرجع وانه قد مات وروي انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين
ثم احدثوا ما احدثوا والقى الالواح وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند
استماعه حديث العجل غضبا لله وحمية لدينه وكان في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون
الين منه جانبا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى وروي ان التورية كانت سبعة اسباع
فلما القى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل
كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة واخذ براس اخيه اي بشعر راسه يجره اليه بذؤابته
وذلك لشدة ما ورد عليه من الامر الذي استفزه وذهب بفطنته وظنا باخيه انه فرط
في الكف ابن ام قرئ بالفتح تشبيها بخمسة عشر وبالكسر على طرح ياء الاضافة وابن امي
بالياء وابن ام بكسر الهمزة والميم وقيل كان اخاه لابيه وامه فان صح فانما اضافه الى الام اشارة
الى انهما من بطن واحد وذلك ادعى الى العطف والرقة واعظم للحق الواجب ولانها كانت مومنة
فاعتد بنسبها ولانها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها ان القوم استضعفو

اى بئس الخلافة خلافتكم

ني

٤٢

وتكليمه ان يخلق الكلام منطوقا به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في اللوح وروي ان موسى كان
يسمع ذلك الكلام من كل جهة وعن ابن عباس كلمه اربعين يوما واربعين ليلة وكتب له الالواح
وقيل انما كلمه في اول الاربعين ارني انظر اليك ثاني مفعولي ارني محذوف اي ارني نفسك انظر
اليك فان قلت الروية عين النظر فكيف قيل ارني انظر اليك قلت معنى ارني نفسك اجعلني متمكنا
من رويتك بان تتجلى لي فانظر اليك واراك فان قلت فكيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر
الي لقوله انظر اليك قلت لما قال ارني بمعنى اجعلني متمكنا من الروية التي هي الادراك علم ان الطلبة
هي الروية لا النظر الذي لا ادراك معه فقيل لن تراني ولم يقل لن تنظر الي فان قلت كيف طلب
موسى عم ذلك وهو من اعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وبتعاليه عن الروية
التي هي ادراك ببعض الحواس وذلك انما يصح فيما كان في جهة وما ليس بجسم ولا عرض فمحال ان يكون
في جهة ومنع المجبرة احالته في العقول غير لازم لانه ليس باول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون موسى
طالبه وقد قال حين اخذت الرجفة الذين قالوا ارنا الله جهرة اتهلكنا بما فعل السفهاء منا
الى قوله تضل بها من تشاء فتبرا من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالا وتبرا من فعلهم وليلقمهم
الحجر وذلك انهم حين طلبوا الروية انكر عليهم واعلمهم الخطا ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في
لجاجهم وقالوا لا بد ولن نومن لك حتى نراه فاراد موسى ان يسمعوا النص من عند الله باستحالة
ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب ارني انظر
اليك فان قلت فهلا قال ارهم ينظروا اليك قلت لان الله سبحانه انما كلم موسى عم وهم يسمعون
فلما سمعوا كلام رب العزة ارادوا ان يرى موسى ذاته فيبصروه معه كما اسمعه كلامه فسمعوه
معه ارادة مبنية على قياس فاسد فلذلك قال موسى ارني انظر اليك ولانه اذا زجر عما طلب
وانكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته عند الله وقيل له لن يكون ذلك كان غيره اولى بالا
نكار ولان الرسول امام امته فكان ما يخاطب راجعا اليهم وقوله انظر اليك وما فيه من معنى
المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل على انه ترجمة عن مقترحهم وحكاية لقولهم وجل صاحب
الجمل ان يجعل الله منظورا اليه مقابلا بحاسة النظر فكيف بمن هو اعرق في معرفة الله من
واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وابي الهذيل والشيخين وجميع المتكلمين فان قلت ما معنى
لن قلت تاكيد النفي الذي تعطيه لا وذلك ان لا تنفي المستقبل تقول لا افعل غدا فاذا اكدت نفيها
قلت لن افعل غدا والمعنى ان فعله ينافي حالي كقوله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله لا

اجعلني

قلت ما كان طلب الروية الا ليبكت هولاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا وتبرا من فعلهم

ابو علي وابو هاشم

اد عبد الجبار

تدركه الابصار نفى للروية فيما يستقبل ولن ترانى تاكيد وبيان لان المنفى مناف لصفاته فان
قلت كيف اتصل الاستدراك فى قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله قلت اتصل به على معنى ان النظر
الىّ محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر اخر وهو ان تنظر الى الجبل الذى يرجف بك وبمن طلبت
الروية لاجلهم كيف افعل به وكيف اجعله دكا بسبب طلبك الروية لتستعظم ما اقدمت عليه
بما اريك من عظم اثره كانه عز وعلا حقق عند طلب الروية ما مثله عند نسبة الولد اليه فى قوله
وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فان استقر مكانه كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا فى
جهاته فسوف ترانى تعليق لوجود الروية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه
دكا ويسويه بالارض وهذا كلام مندمج بعضه فى بعض وارد على اسلوب عجيب ونمط بديع الا ترى
كيف تخلص من النظر الى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف بنى الوعيد بالرجفة الكاينة بسبب
طلب النظر على الشريطة فى وجود الروية اعنى قوله فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه
للجبل فلما ظهر له اقتداره وتصدى له امره وارادته جعله دكا اى مدكوكا مصدر بمعنى
مفعول كضرب الامير والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكاء ودكا اسم للرابية
الناشزة من الارض كالدكة او ارضا دكا مستوية ومنه قولهم ناقة دكا متواضعة السنام
وعن الشعبى قال لى الربيع بن خثيم ابسط يدك دكا اى مدها مستوية وقرا يحيى بن وثاب
دكا اى قطعا دكا جمع دكا وخر موسى صعقا من هول ما راى وصعق من باب فعلته ففعل
يقال صعقته فصعق واصله من الصاعقة ويقال لها الصاقعة من صقعه اذا ضربه على راسه
ومعناه خر مغشيا عليه غشية كالموت وروى ان الملايكة مرت عليه وهو مغشى عليه فجعلوا
يلكزونه بارجلهم ويقولون يا ابن النسا الحيض اطمعت فى روية رب العزة فلما افاق
من صعقته قال سبحانك انزهك مما لا يجوز عليك من الروية وغيرها تبت اليك من طلب الروية
وغيرها وانا اول المومنين بانك لست بمرئى ولا مدرك بشى من الحواس فان قلت فان
كان طلب الروية للغرض الذى ذكرته فمم تاب قلت من اجرايه تلك المقالة العظيمة
وان كان لغرض على لسانه من غير اذن فيه من الله فانظر الى اعظام الله امر الروية فى هذه
الاية وكيف ارجف الجبل بطالبيها وجعله دكا وكيف اصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك
مبالغة فى اعظام الامر وكيف سبح ربه ملتجيا اليه وتاب من اجرا تلك الكلمة على لسانه وقال
وانا اول المومنين ثم تعجب من المتسمين بالاسلام المتسمين باهل السنة والجماعة كيف اتخذوا

قالوا الا قال هذا محمد النبى الامى فامنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم
احمد فليقرا عليه منى السلام فرد محمد على موسى عليهما السلام ثم اقراهم عشر سور من
القران نزلت بمكة ولم تكن نزلت فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم
كانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت وعن مسروق قرى بين يدى عبد الله فقال
رجل انى منهم فقال عبد الله لمن كان فى مجلسه من المومنين وهل يزيدكم صلحا وكم عليهم شيا من
بالحق وبه يعدل وقيل لو كانوا فى طرف من الدنيا متمسكين بشريعة ولم يبلغهم نسخها كانوا معذورين
وهذا من باب الفرض والتقدير والا فقد طاب الخبر بشريعة محمد ع الى كل افق وتغلغل
فى كل نفق ولم يبق الله اهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر فى مشارق الارض و
مغاربها الا وقد القاه اليهم وملا به مسامعهم والزمهم به الحجة وهو سايلهم عنه يوم القيامة
وقطعناهم وصيرناهم قطعا اى فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الالفة بينهم وقرى و
قطعناهم بالتخفيف اثنتى عشرة اسباطا كقولك اثنتى عشرة قبيلة من اثنى عشر ولدا من ولد
يعقوب ع فان قلت مميز ما عدا العشرة مفرد فما وجه مجيه مجموعا وهلا قيل اثنى عشر
سبطا قلت لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لان المراد وقطعناهم اثنتى عشرة قبيلة وكل قبيلة اسباط
لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة نظيره بين رماحى مالك ونهشل وامما بدل من اثنتى عشرة
بمعنى وقطعناهم امما لان كل اسباط كانت امة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة
كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا تكاد تاتلف وقرى اثنتى عشرة بكسر الشين فانبجست
فانفجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال العجاج وكيف غربى دالج تبجسا فان
قلت فهلا قيل فضرب فانبجست قلت لعدم الالباس وليجعل الانبجاس مسببا عن الايحا بضرب
الحجر للدلالة على ان الموحى اليه لم يتوقف عن اتباع الامر وانه من انتفا الشك عنه بحيث
لا حاجة الى الافصاح به وقوله كل اناس نظير قوله اثنتى عشرة اسباطا يريد كل امة من تلك
الامم الثنتى عشرة والاناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال وثنا وتوام واخوات لها ويجوز
ان يقال ان الاصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما ابدلت فى نحو سكارى وغيارى
من الفتحة وظللنا عليهم الغمام وجعلناه ظليلا عليهم فى التيه وكلوا على ارادة القول وما ظلمونا
وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم ولكن كانوا يضرون انفسهم ويرجع وبال ظلمهم اليهم
واذ قيل لهم واذكروا اذ قيل لهم والقرية بيت المقدس فان قلت كيف اختلفت العبارة ههنا

وفي سورة البقرة قلت لا باس باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك تناقض ولا تناقض بين قوله
اسكنوا هذه القرية فكلوا منها وبين قوله وكلوا لانهم اذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم للاكل
منها فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والاكل منها وسوا قدموا الحطة على دخول الباب او اخروها
فهم جامعون في الايجاد بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض اثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد
المحسنين موعد بشيئين بالغفران والزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لانه استيناف مرتب على
تقدير قول القايل وما بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان
وارسلنا وانزلنا ويظلمون ويفسقون من واد واحد وقرئ نغفر لكم خطيئاتكم وتغفر لكم
خطاياكم وخطيئاتكم وخطيئتكم على البنا للمفعول وسلهم واسئل اليهود وقرئ واسالهم وهذا
السوال معناه التقرير والتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله والاعلام بان هذا
من علومهم التي لا تعلم الا بكتاب او وحي فاذا اعلمهم به من لم يقرا كتابهم علم انه من جهة
الوحي ونظيره همزة الاستفهام التي يراد بها التقرير في قولك اعدوتم في السبت والقرية
ايلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية وعن ابي عمرو بن العلا ما رايت
قرويين افصح من الحسن والحجاج يعني رجلين من اهل المدن حاضرة البحر قريبة منه راكبة
لشاطيه اذ يعدون في السبت اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد
نهوا عنه وقرئ يُعَدّون بمعنى يعتدون وادغمت التا في الدال ونقلت حركتها الى العين
ويُعِدّون من الاعداد وكانوا يعدّون الالات العبادة والسبت مصدر سبتت اليهود
اذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا اليوم
وكذلك قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم امر السبت ويدل عليه قوله ويوم لا يسبتون وقراة
عمر بن عبد العزيز ويوم اسباتهم وقرا علي رض لا يُسبتون بضم اليا من اسبتوا وعن الحسن
لا يُسبتون على البنا للمفعول اي لا يدار عليهم السبت ولا يومرون بان يسبتوا فان قلت اذ يعدون
واذ تاتيهم ما محلهما من الاعراب قلت اما الاول فمجرور بدل من القرية والمراد بالقرية اهلها
كانه قيل وسلهم عن اهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز ان يكون
منصوبا بكانت او بحاضرة واما الثاني فمنصوب بيعدون ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل و
الحيتان السمك واكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمكة شرعا ظاهرة على وجه الما وعن
الحسن تشرع على ابوابهم كانها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان اذا دنا منا واشرف علينا

يعني انه لم آل جهدًا في كفهم بالوعظ والانذار وما بلغته طاقتي من بذل القوة في مضادتهم
حتى قهروه واستضعفوه ولم يبق الا ان يقتلوه فلا تشمت بي الاعدا فلا تفعل بي ما هو امنيتهم
من الاستهانة بي والاساة الي وقرئ فلا تشمت بي الاعدا على نهي الاعدا عن الشماتة والمراد
ان لا يحل به ما يشمتون به لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين ولا تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك
لي قرينا لهم وصاحبا او ولا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم لما اعتذر
اليه اخوه وذكر له شماتة الاعدا قال رب اغفر لي ولاخي ليرضي اخاه ويظهر لاهل الشماتة رضاه
عنه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه الى اخيه ولاخيه ان عسى فرط في
حسن الخلافة وطلب ان لا يتفرقا عن رحمته ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والاخرة غضب
من ربهم وذلة الغضب ما امروا به من قتل انفسهم والذلة خروجهم من ديارهم لان ذل الغربة
مثل مضروب وقيل هو ما نال ابناهم وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله بالقتل والجلا ومن
الذلة بضرب الجزية المفترين المتكذبين على الله ولا فرية اعظم من قول السامري هذا الهكم
واله موسى ويجوز ان يتعلق في الحيوة الدنيا بالذلة وحدها ويراد سينالهم غضب في الاخرة
وذلة في الحيوة الدنيا كقوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله والذين عملوا
السيات من الكفر والمعاصي كلها ثم تابوا ثم رجعوا من بعدها الى الله واعتذروا اليه وامنوا
واخلصوا الايمان ان ربك من بعدها من بعد تلك العظايم لغفور لستور عليهم محاء لما كان منهم
رحيم منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته متخذوا العجل ومن عداهم عظم جنايتهم اولا
ثم اردفها تعظيم رحمته ليعلم ان الذنوب وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه اعظم
واجل ولكن لا بد من حفظ الشريطة وهي وجوب التوبة والانابة وما وراءه طمع فارغ واشعبية
باردة لا يلتفت اليها حازم ولما سكت عن موسى الغضب هذا مثل كان الغضب كان يغريه على
ما فعل ويقول له قل لقومك كذا والق الالواح وجر براس اخيك اليك فترك النطق بذلك وقطع الا
غراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح الا لذلك ولانه
من قبيل شعب البلاغة والا فما لقراءة معوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب لا تجد النفس
عندها شيا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة وقرئ ولما سُكِّت واسكت اي اسكته
الله او اخوه باعتذاره اليه وتنصله والمعنى ولما طفئ غضبه اخذ الالواح التي القاها وفي
نسختها وفيما نسخ منها اي كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة لربهم يرهبون دخلت

اللام لتقدم المفعول لان تاخر الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفا ونحوه للرؤيا تعبرون وتقول لك ضربت
واختار موسى قومه اى من قومه فحذف الجار واوصل الفعل كقوله منا الذى اختير الرجال
سماحة قيل اختار من اثنى عشر سبطا من كل سبط ستة حتى تناموا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم
رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروى انه لم يصب الا ستين
شيخا فاوحى الله اليه ان يختار من الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا وقيل كانوا اثنا عشر ما عدا العشر
ولم يتجاوزوا الاربعين فذهب عنهم الجهل والصبا فامرهم موسى ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم
ثم خرج بهم الى طور سينا لميقات ربه وكان امره ربه ان ياتيه فى سبعين من بنى اسرائيل فلما دنى
موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا
فدنوا حتى اذا دخلوا فى الغمام وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل
ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه فطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وانكر عليهم فقالوا يا موسى
لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فقال رب ارنى انظر اليك يريد ان يسمعوا الرد والانكار من جهته
فاجيب بلن ترانى ورجف بهم الجبل فصعقوا ولما كانت الرجفة قال موسى رب لو شئت اهلكتهم
من قبل واياى وهذا تمن منه للاهلاك قبل ان يرى ما راى من تبعة طلب الرؤية كما يقول النادم
على الامر اذا راى سوء المغبة لو شاء الله لاهلكنى قبل هذا اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعنى اتهلكنا
جميعا يعنى نفسه واياهم لانه انما طلب الرؤية زجرا للسفهاء وهم طلبوه سفها وجهلا ان هى
الا فتنتك اى محنتك وابتلاؤك حين كلمتنى وسمعوا الكلام فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالا
فاسدا حتى افتتنوا وضلوا تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين
فى معرفتك وتهدى العالمين بك الثابتين بالقول الثابت وجعل ذلك اضلالا من الله وهدى منه لان
محنته لما كانت سببا لان ضلوا واهتدوا فكانه اضلهم بها وهداهم على الاتساع فى الكلام انت وليّنا
مولانا القائم بامورنا واكتب لنا واثبت لنا واقسم فى هذه الدنيا حسنة عافية وحيوة طيبة
او توفيقا فى الطاعة وفى الاخرة الجنة هدنا اليك تبنا اليك وهاد اليه يهود اذا رجع وتاب والهود
جمع هائد وهو التائب ولبعضهم يا راكب الذنب هدهد واسجد كانك هدهد وقرا ابو وجزة
السعدى هدنا اليك بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه وامالة ويحتمل امرين ان يكون مبنيا
للفاعل وللمفعول بمعنى حركنا اليك انفسنا وامِلنا ها او حُركنا اليك وامِلنا على تقدير فعلنا كقولك
عدت يا مريض بكسر العين فعلت من العيادة ويجوز عدت بالاشمام وعدت باخلاص الضمة

فيمن قال عود المريض وقول القول ويجوز على هذه اللغة ان يكون بالضم فعلنا من هاده يهيده
عذابى من حاله وصفته انى اصيب به من اشاء اى من وجب على فى الحكمة تعذيبه ولم يكن فى
العفو عنه مساغ لكونه مفسدة واما رحمتى فمن حالها وصفتها انها واسعة تبلغ كل شئ
ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب فى نعمتى وقرا الحسن من اساء من الاساءة
فساكتب هذه الرحمة كتبة خاصة فيكم يا بنى اسرائيل للذين يكونون فى اخر الزمان من امة محمد
م الذين هم بجميع اياتنا وكتبنا يومنون لا يكفرون بشئ منها الذين يتبعون الرسول الذى
نوحى اليه كتابا مختصا به وهو القران النبى صاحب المعجزات الذين يجدونه يجد نعته اولئك
الذين يتبعونه من بنى اسرائيل مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل ويحل لهم الطيبات ما
حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها او ما طاب فى الشريعة والحكمة مما ذكر اسم
الله عليه من الذبايح وما خلا كسبه من السحت ويحرم عليهم الخبايث ما يستخبث من نحو الدم
والميتة ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به او ما خبث فى الحكم كالربا والرشوة وغيرهما من
المكاسب الخبيثة الاصر الثقل الذى يأصر صاحبه اى يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لثقل
تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل الانفس فى صحة توبتهم وكذلك الاغلال مثل لما كان فى شرايعهم
من الاشياء الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان او خطاء من غير شرع الدية وقطع الا
عضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنايم وتحريم العروق فى اللحم
وتحريم السبت وعن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلى لبسوا المسوح وغلوا ايديهم
الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس
نفسه على العبادة وقرى اصارهم على الجمع وعزروه ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدو وقرى با
التخفيف واصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لانه منع من معاودة القبيح الا ترى
الى تسمية الحد والحد هو المنع والنور القران فان قلت ما معنى قوله انزل معه وانما انزل مع
جبرئيل قلت معناه انزل مع نبوته لان استنباءه كان مصحوبا بالقران مشفوعا به ويجوز ان
يتعلق باتبعوا اى واتبعوا القران مع اتباع النبى والعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه اواوا
تبعوا القران كما اتبعه مصاحبين له فى اتباعه فان قلت كيف انطبق هذا الجواب على قول
موسى ع ودعايه قلت لما دعا لنفسه ولبنى اسرائيل اجيب بما هو منطو على توبيخ بنى اسرائيل
على استجازتهم الرؤية على الله وعلى كفرهم بايات الله العظام التى اجراها على يد موسى وعرض

بذلك في قوله والذين هم باياتنا يؤمنون واريد ان يكون استماع اوصاف اعقابهم الذين امنوا بر
سول الله وما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الا
يمان والعمل الصالح وفي ان يحشروا معهم ولا يفرق بينهم وبين اعقابهم عن رحمة الله التي وسعت
كل شيء اني رسول الله اليكم جميعا قيل بعث كل رسول الى قومه خاصة وبعث محمد ع الى كافة
الانس وكافة الجن وجميعا نصب على الحال من اليكم فان قلت الذي له ملك السموات والارض ما
محله قلت الاحسن ان يكون منتصبا باضمار اعني وهو الذي يسمى النصب على المدح ويجوز ان يكون
جرا على الوصف وان حيل بين الصفة والموصوف بقوله اليكم جميعا وقوله لا اله الا هو بدل من
الصلة التي هي له ملك السموات والارض وكذلك يحيي ويميت وفي لا اله الا هو بيان للجملة قبلها
لان من ملك العالم كان هو الاله على الحقيقة وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه بالالهية لانه
لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره وكلماته وما انزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه و
وحيه وقرئ وكلمته على الافراد وهي القران واراد جنس ما كلم به وعن مجاهد اراد عيسى بن
مريم وقيل هي الكلمة التي تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن وانما قيل ان عيسى
كلمة الله فخص بهذا الاسم لانه لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمنى لعلكم تهتد
ون ارادة ان تهتدوا فان قلت هلا قيل فامنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول الله اليكم قلت
عدل عن المضمر الى الاسم الظاهر لتجري عليه الصفات التي اجريت عليه ولما في طريقة الالتفات
من مزية البلاغة وليعلم ان الذي وجب الايمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بانه النبي
الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان انا او غيري اظهارا للنصفة وتفاديا من العصبية
لنفسه ومن قوم موسى امة هم المؤمنون الثابتون من بني اسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم
في الدين وارتابوا حتى اقدموا على العظيمتين عبادة العجل واستجازة رؤية الله ذكر ان منهم
امة موقنين ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم وبالحق
يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون او اراد الذين وصفهم ممن ادرك النبي ع وامن به من
اعقابهم وقيل ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما
صنعوا واعتذروا وسالوا الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا
فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا
وذكر عن النبي ع ان جبريل ذهب به ليلة الاسرى نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون

وشرعت على فلان في بيته فرأيته يفعل كذا كذلك نبلوهم مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب
فسقهم واذ قالت معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه في الاعراب امة منهم جماعة من
اهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا الصعب والذلول في موعظتهم حتى ايسوا من قبولهم
لاخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم اي مخترمهم ومطهر الارض
منهم او معذبهم عذابا شديدا لتماديهم في الشر وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع فيهم
قالوا معذرة الى ربكم اي موعظتنا ابلاء عذر الى الله ولئلا ننسب في النهي عن المنكر الى بعض
التفريط ولعلهم يتقون ولطمعنا في ان يتقوا بعض الاتقاء وقرئ معذرة بالنصب اي وعظنا
هم معذرة الى ربكم او اعتذرنا معذرة فلما نسوا يعني اهل القرية فلما تركوا ما ذكرهم به الصا
لحون ترك الناسي لما ينساه انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا الراكبين
للمنكر فان قلت الامة الذين قالوا لم تعظون من اي الفريقين هم امن فريق الناجين ام المعذبين
قلت من فريق الناجين لانهم من فريق الناهين وما قالوا ما قالوا الا سائلين عن علة الوعظ
والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهي حال المنهي وان
النهي لا يؤثر فيه سقط عنه النهي وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث الا ترى انك لو ذهبت
الى المكاسين القاعدين على المآصر والجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه
كان ذلك عبثا منك ولم يكن الا سببا للتلهي بك واما الاخرون فانما لم يعرضوا عنهم اما لان
ياسهم لم يستحكم كما استحكم ياس الاولين ولم يخبروهم كما خبروهم او لفرط حرصهم وجدهم في امرهم
كما وصف الله رسوله في قوله فلعلك باخع نفسك وقيل هم الامة الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين
لم تعظون منا قوما تزعمون ان الله مهلكهم او معذبهم وعن ابن عباس انه قال ليت شعري ما فعل
بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما قال عكرمة فقلت جعلني الله فداك الا ترى انهم كرهوا ما هم عليه
وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم ازل به حتى عرفته انهم قد نجوا وعن الحسن
فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين اخذوا الحيتان وروي ان اليهود امروا باليوم الذي امرنا به وحرم
عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تاتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كانها المخاض
لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تاتيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم
انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا تسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر
على الخروج منها وتاخذونها يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في

الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع فى تنوره فقال له انى ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ فى السبت القابل حوتين فلما راوا ان العذاب لا يعاجلهم صادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من اثنى عشر الفا وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث هم اصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عم فاصبح الناهون ذات يوم فى مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان للناس شانا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود انسباءها من الانس والانس لا يعرفون انسباءهم من القرود فجعل القرد ياتى نسيبه فيشم ثيابه ويبكى فيقول الم انهكم فيقول براسه بلى وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا فى الدنيا واطولها عذابا فى الاخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة ادهى وامر بيس شديد يقال بؤس يبؤس باسا اذا اشتد فهو بئيس وقرى بيس بوزن حذر وبيس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفا كما يقال كبد فى كبد وبيس على قلب الهمزة يا كذيب فى ذئب وبئس بكسر الهمزة وفتحها وبيس بوزن ريس على قلب همزة بيس يا وادغام اليا فيها وبيس على تخفيف بيس كهين فى هين وبائس على فاعل فلما عتوا عما نهوا عنه فلما تكبروا عن تركها نهوا عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة عبارة عن مسخهم قردة كقوله انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون والمعنى ان الله عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرار لقوله فلما نسوا والعذاب البيس هو المسخ تاذن ربك عزم ربك وهو تفعل من الايذان وهو الاعلام لان العازم على الامر يحدث به نفسه ويوذنها بفعله واجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بما يجاب به القسم وهو قوله ليبعثن والمعنى واذ حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن على اليهود الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب فكانوا يودون الجزية الى المجوس الى ان بعث الله محمدا عم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى اخر الدهر ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم كقوله بعثنا عليكم عبادا اولى باس شديد وقطعناهم فى الارض امما وفرقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم منهم الصالحون الذين امنوا منهم بالمدينة او الذين وراء الصين ومنهم دون ذلك ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفرة الفسقة فان قلت ما محل دون ذلك قلت الرفع وهو صفة لموصوف محذوف معناه ومنهم

لناء

الازهريهم قالوا فى صفة الله علام ولم يقولوا علامة وان كانت العلامة ابلغ احترازا من علامة التانيث وقرى ترى ابرهيم ملكوت السموات بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلايل الربوبية وحاجه قومه قال اتحاجونى فى الله وكانوا حاجوه فى توحيد الله ونفى الشركاء عنه منكرين لذلك وقد هدان الى التوحيد ولا اخاف ما تشركون به وقد خوفوه ان معبوداتهم تصيبه بسوء الا ان يشاء ربى شيا الا وقت مشية ربى شيا يخاف فحذف الوقت يعنى لا اخاف معبوداتكم فى وقت قط لانها لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا اذا شاء ربى ان يصيبنى بمخوف من جهتها ان اصبت ذنبا استوجب به انزال المكروه مثل ان يرجمنى بكوكب او بشقة من الشمس او القمر او يجعلها قادرة على مضرتى وسع ربى كل شى علما اى ليس بعجب ولا مستبعد ان يكون فى علمه انزال المخوف بى من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف لتخويفكم شيا مامون الخوف لا يتعلق به ضرر بوجه وانتم لا تخافون ما يتعلق به كل خوف وهو اشراككم بالله ما لم ينزل باشراكه سلطانا اى حجة لان الاشراك لا يصح ان يكون عليه حجة كانه قال وما لكم تنكرون على الامن فى موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم الامن فى موضع الخوف ولم يقل فاينا احق بالامن انا ام انتم فى موضع الخوف احترازا من تزكية نفسه فعدل عنه الى قوله فاى الفريقين يعنى فريقى المشركين والموحدين ثم استانف الجواب عن السوال بقوله الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اى لم يخلطوا ايمانهم بمعصية تفسقهم وابى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس وتلك اشارة الى جميع ما احتج به ابرهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون ومعنى اتيناها ارشدناه اليها ووفقناه لها نرفع درجات من نشاء يعنى فى العلم والحكمة وقرى بالتنوين ومن ذريته الضمير لنوح او لابرهيم وداود عطف على نوحا اى وهدينا داود ومن اباىهم فى موضع النصب عطفا على كلا بمعنى وفضلنا بعض اباىهم ولو اشركوا مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات لكانوا كغيرهم فى حبوط اعمالهم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك اتيناهم الكتاب يريد الجنس فان يكفر بها بالكتاب والحكم والنبوة او بالنبوة هولاء يعنى اهل مكة قوما هم الانبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله اولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده وبدليل قوله فان يكفر بها هولاء بما قبله وقيل هم اصحاب النبى عم وكل من امن به وقيل كل

وصل م

مؤمن به من بني ادم وقيل الملئكة ادعى الانصار انها لهم وعن مجاهد هم الفرس ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشي ليقوم به ويتعهده
ويحافظ عليه والباء في بها صلة كافرين وفي بكافرين تاكيد النفي فبهداهم اقتده فاختص
هداهم بالاقتداء ولا تقتد الا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهداهم طريقتهم في
الايمان بالله وتوحيده واصول الدين دون الشرايع فانها مختلفة وهي هدى ما لم تنسخ
فاذا نسخت لم تبق هدى ابدا والهاء في اقتده للوقف تسقط في الدرج واستحسن ايثار الو
قف لثبات الهاء في المصحف وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة
على عباده واللطف بهم حين انكروا بعثه الرسل والوحي اليهم وذلك من اعظم رحمته واجل
نعمته وما ارسلناك الا رحمة للعالمين او ما عرفوه حق معرفته في سخطه على الكافرين
وشدة بطشه بهم ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من انكار النبوة والقا
يلون هم اليهود بدليل قراءة من قرا يجعلونه بالتاء وكذلك تبدونها وتخفون وانما قالوا ذلك
مبالغة في انكار انزال القران على رسول الله فالزموا ما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التورية
على موسى وادرج تحت الالزام توبيخهم وان نعى عليهم سوء حملهم لكتابهم وتحريفهم وابداء
بعض واخفاء بعض فقيل جاء به موسى وهو نور وهدى للناس حتى غيروه ونقصوه
وجعلوه قراطيس مقطعه وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الابداء والاخفاء وروي
ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسايهم قال له رسول الله ع انشدك بالذي انزل التورية
على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك
الذي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من
شيء فقال له قومه ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه اغضبني فنزعوه وجعلوا مكانه كعب
بن الاشرف وقيل القايلون قريش وقد الزموا انزال التورية لانهم كانوا يسمعون من اليهود
بالمدينة ذكر موسى والتورية وكانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم
ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم الخطاب لليهود اي علمتم على لسان محمد صلعم مما اوحي اليه ما لم تعلموا
انتم وانتم حملة التورية ولم يعلمه اباؤكم الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم ان هذا القران
يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن امن من قريش كقوله لتنذر
قوما ما انذر اباؤهم قل الله اي انزله الله فانهم لا يقدرون ان يناكروك ثم ذرهم في خوضهم

بالظلم

زيد

ثم

الكتب

باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة ويقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه
انما انت لاعب ويلعبون حال من ذرهم او من خوضهم ويجوز ان يكون في خوضهم حالا من
يلعبون وان يكون صلة لهم او لذرهم مبارك كثير المنافع والفوايد ولتنذر معطوف على
ما دل عليه صفة الكتاب كانه قيل انزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتاب
وللانذار وقرى لتنذر بالتاء والياء وسميت مكة ام القرى لانها مكان اول بيت
وضع للناس ولانها قبلة اهل القرى كلها ومحجهم ولانها اعظم القرى شانا ولبعض
المجاورين فمن يلق في بعض المنزيات رحله فام القرى يلقي رحالي ومنتابي والذين
يؤمنون بالاخرة يصدقون بالعاقبة ويخافونها يؤمنون بهذا الكتاب وذلك ان
اصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وخص الصلوة لا
نها عماد الدين ومن حافظ عليها كانت لطفا له في المحافظة على اخواتها افترى
على الله كذبا فزعم ان الله بعثه نبيا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء هو مسيلمة الحنفي
الكذاب وكذاب صنعاء الاسود العنسي وعن النبي ع رايت فيما يرى النايم كان في
يدي سوارين من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحى الله الي ان انفخهما فنفختهما فطارا
عني فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الاسود
العنسي ومن قال سانزل مثل ما انزل الله هو عبد الله بن سعد بن ابي سرح القرشي
كان يكتب لرسول الله فكان اذا املى عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما واذا قال
عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
الى اخر الاية عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال
عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي
كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم رجع
مسلما قبل فتح مكة وقيل هو النضر بن الحارث والمستهزؤن ولو ترى جوابه محذوف
اي لرايت امرا عظيما اذ الظالمون يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبية فتكون اللام للعهد
ويجوز ان تكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله وغمرات الموت شدايده وسكراته
واصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة باسطوا ايديهم اي يبسطون
اليهم ايديهم يقولون هاتوا ارواحكم اخرجوها الينا من اجسادكم وهذه عبارة عن

العنيف في السياق والالحاح والتشديد في الازهاق من غير تنفيس وامهال وانهم يفعلون
بهم فعل الغريم الملظ يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهله
ويقول له اخرج الي مالي عليك الساعة ولا اريم مكاني حتى انزعه من احداقك وقيل
معناه باسطوا ايديهم عليهم بالعذاب اخرجوا انفسكم خلصوها من ايدينا اي لا تقدرون
على الخلاص اليوم تجزون يجوز ان يريدوا وقت الاماتة وما يعذبون به من شدة
النزع وان يريدوا الوقت الممتد المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ و
القيامة والهون الهوان الشديد واضافة العذاب اليه كقولك رجل سوء يريد العراقة
في الهوان والتمكن فيه عن اياته تستكبرون فلا تؤمنون بها فرادى منفردين عن
اموالكم واولادكم وما حرصتم عليه واثرتموه من دنياكم وعن اوثانكم التي زعمتم انها
شفعاؤكم وشركاء لله كما خلقناكم اول مرة على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد
وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الاخرة وراء ظهوركم
لم ينفعكم ولم تحتملوا منه نقيرا ولا قدمتموه لانفسكم فيكم شركاء في استعبادكم لانهم حين
دعوهم الهة وعبدوها فقد جعلوها لله شركاء فيهم وفي استعبادهم وقرئ
فرادا بالتنوين وفراد مثل ثلاث وفردى نحو سكرى فان قلت كما خلقناكم في اي
محل هو قلت في محل النصب صفة لمصدر جئتمونا اي مجيئا مثل ما خلقناكم لقد تقطع بينكم وقع
التقطع بينكم كما تقول جمع بين الشيئين تريد اوقع الجمع بينهما على اسناد الفعل الى مصدره
بهذا التاويل ومن رفع فقد اسند الفعل الى الظرف كما تقول قوتل خلفكم وامامكم
وفي قراءة عبد الله لقد تقطع ما بينكم فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وعن مجاهد
اراد الشقين اللذين في النواة والحنطة يخرج الحي من الميت اي الحيوان والنامي من النطف
والبيض والحب والنوى ومخرج هذه الاشياء الميتة من الحيوان والنامي فان قلت كيف
قال ومخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت قلت عطفه
على فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر النامين من جنس
اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان الا ترى الى قوله يحيي الارض بعد موتها
ذلكم الله ذلكم المحيي المميت هو الله الذي تحق له الربوبية فانى تؤفكون فكيف تصرفون
عنه وعن توليه الى غيره الاصباح مصدر سمي به الصبح وقرا الحسن بفتح الهمزة جمع صبح

وانشد

وانشد قوله افنى رباحا وبني رباح تناسخ الامساء والاصباح بالكسر والفتح مصدرين و
جمع مسي وصبح فان قلت فما معنى فلق الصبح والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح كما قال
تفري ليل عن بياض نهار قلت فيه وجهان احدهما ان يراد فالق ظلمة الاصباح وهي
الغبش في اخر الليل ومنقضاه الذي يلي الصبح والثاني ان يراد فالق الاصباح الذي هو
عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره وقالوا انشق عمود الفجر وانصدع الفجر وسموا
الفجر فلقا بمعنى مفلوق وقال الطائي وازرق الفجر يبدو قبل ابيضه وقرئ فالق الاصباح
وجاعل الليل بالنصب على المدح وقرا النخعي فلق الاصباح وجعل الليل سكنا ما يسكن
اليه الرجل ويطمئن استئناسا به واسترواحا اليه من زوج او حبيب ومنه قيل للنار سكن
لانه يستانس بها الا تراهم سموها المؤنسة والليل يطمئن اليه المتعب بالنهار لاستراحته فيه
وجمامه ويجوز ان يراد وجعل الليل مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه والشمس والقمر
قرئا بالحركات الثلاث فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل اي وجعل الليل فان قلت
كيف يكون لليل محل والاضافة حقيقية لان اسم الفاعل المضاف اليه في معنى المضي واما
هو دال على جعل مستمر في الازمنة المختلفة وكذلك فالق الحب وفالق الاصباح كما تقول الله
عالم قادر فلا تقصد زمانا دون زمان والجر عطف على لفظ الليل والرفع على الابتداء والخبر
محذوف تقديره والشمس والقمر مجعولان حسبانا او محسوبان حسبانا ومعنى جعل
الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان لان حساب الاوقات يعلم بدورهما وسيرهما
والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ونظيره الكفران
والشكران ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير
العزيز العليم بتدبيرهما وتدويرهما في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل بالبر والبحر
واضافها اليهما لملابستها لهما او شبه مشتبهات الطرق بالظلمات فمن فتح قاف
المستقر كان المستودع اسم مكان مثله او مصدرا ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع
اسم مفعول والمعنى فلكم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب او مستقر فوق الارض و
مستودع تحتها او فمنكم مستقر ومستودع فان قلت لم قيل يعلمون مع ذكر النجوم ويفقهون
مع ذكر انشاء بني ادم قلت كان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة
الطف وادق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر

مطابقا له فاخرجنا به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من اصناف النامي يعني ان
السبب واحد وهو الماء والمسببات صنوف مفتنة كما قال تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على
بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات خضرا شيئا غضا اخضر يقال اخضر وخضر
كاعور وعور وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه من الخضر
حبا متراكبا وهو السنبل وقنوان رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه
كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا
عليه تقديره ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرا يخرج منه حب متراكب كان قنوان
عنده معطوفا على حب وقنوان جمع قنو ونظيره صنو وصنوان وقرئ بضم القاف و
بفتحها على انه اسم جمع كركب لان فعلان ليس من زنات التكسير دانية سهلة المجتنى
معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول ولان النخلة وان كانت صغيرة ينالها
القاعد فانها تاتي بالثمر لا ينتظر الطول وقال الحسن دانية قريب بعضها من بعض وقيل
ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة لان النعمة فيها اظهر او دل بذكر القريبة على ذكر
البعيدة كقوله سرابيل تقيكم الحر وقوله وجنات من اعناب فيه وجهان احدهما
ان يراد وثم جنات من اعناب اي مع النخل والثاني ان تعطف على قنوان على معنى و
حاصلة او ومخرجة من النخل قنوان وجنات من اعناب اي من نبات اعناب وقرئ
وجنات بالنصب عطفا على نبات كل شيء اي واخرجنا به جنات من اعناب وكذلك
قوله والزيتون والرمان والاحسن ان ينتصب على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلوة
لفضل هذين الصنفين مشتبها وغير متشابه يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك
استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وقرئ متشابها وغير متشابه
وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك كقوله كنت منه ووالدي
بريا والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم وذلك دليل
على التعمد دون الاهمال انظروا الى ثمره اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا
ضعيفا لا يكاد ينتفع به وانظروا الى حال ينعه ونضجه كيف يعود شيئا جامعا للمنافع
وملاذ نظر اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال
الى حال وقرئ وينعه بالضم فقال ينعت الثمرة ينعا وينعا وقرا ابن محيصن ويانعه وقرئ

وثمره ان جعلت لله شركاء مفعولي جعلوا نصبت الجن بدلا من شركاء وان جعلت لله لغوا
كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الاول فان قلت ما فائدة التقديم قلت فائدته
استعظام ان يتخذ لله شريك من كان ملكا او جنيا او انسيا او غير ذلك ولذلك قدم اسم
الله على الشركاء وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة التي
للتبيين والمعنى اشركوهم في عبادته لانهم اطاعوهم كما يطاع الله وقيل هم الذين زعموا
ان الله خالق الخير وكل نافع وابليس خالق الشر وكل ضار وخلقهم وخلق الجاعلين لله
شركاء ومعناه وعلموا ان الله خالقهم دون الجن ولم يمنعهم علمهم ان يتخذوا من
لا يخلق شريكا للخالق وقيل الضمير للجن وقرئ وخلقهم اي اختلاقهم للافك يعني و
جعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الى الله في قولهم والله امرنا بها وخرقوا له وخلقوا
له اي اختلقوا له بنين وبنات هو قول اهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش في الملا
ئكة يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال كلمة عربية كا
نت العرب تقولها كان الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها
والله ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا له بنين وبنات وقرئ وخرقوا
بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات وقرا ابن عمر وابن عباس وحرفوا له بمعنى وزوروا
له اولادا لان المزور محرف مغير للحق الى الباطل بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه
من خطا او صواب ولكن رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية بديع السموات
من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها كقولك فلان بديع الشعر اي بديع شعره او هو بديع في
السموات والارض كقولك فلان ثبت الغدر اي ثابت فيه والمعنى انه عديم النظير والمثل فيهما
وقيل البديع بمعنى المبدع وارتفاعه على انه خبر مبتدا محذوف او هو مبتدا وخبره انى يكون
له ولد وفاعل تعالى وقرئ بالجر ردا على قوله وجعلوا لله او على سبحانه وبالنصب على المدح
وفيه ابطال الولد من ثلاثة اوجه احدها ان مبتدع السموات والارض وهي اجسام عظيمة
لا يوصف بالولادة لان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسما حتى
يكون والدا والثاني ان الولادة لا تكون الا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس
فلم يصح ان تكون له صاحبة فلم تصح الولادة والثالث انه ما من شيء الا وهو خالقه والعالم به
ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء والولد انما يطلبه المحتاج وقرئ ولم يكن له

صاحبة بالبآء وانما جاز للفصل كقوله لقد دَلَها لا فيظل امر سو ذلكم اشارة الى الموصوف بما تقدم
من الصفات وهو مبتدا وما بعده اخبار مترادفة وهي الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شي
اى ذلكم الجامع لهذه الصفات فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة على معنى ان من استجمعت
له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه
ثم قال وهو على كل شي وكيل يعني وهو مع تلك الصفات مالك لكل شي من الارزاق و
الاجال رقيب على الاعمال البصر هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة البصر به تدرك
المبصرات فالمعنى ان الابصار لا تتعلق به ولا تدركه لانه متعال ان يكون مبصرا في ذاته لان الا
بصار انما تتعلق بما كان في جهة اصلا او تابعا كالاجسام والهيات وهو يدرك الا
بصار وهو للطف ادراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك وهو
اللطيف يلطف عن ان تدركه الابصار الخبير بكل لطيف فهو يدرك الابصار لا تلطف
عن ادراكه وهذا من باب اللف قد جاءكم بصائر من ربكم هو وارد على لسان رسول الله ع لقوله
وما انا عليكم بحفيظ والبصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما ان البصر نور العين الذي به
تبصر اى جاءكم من الوحي والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر فمن ابصر
الحق وامن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنه فعلى نفسه عمي واياها ضر بالعمى وما انا
عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم وليقولوا
جوابه محذوف تقديره وليقولوا درست نصرفها ومعنى درست قرات وتعلمت وقرئ
دارست اى دارست العلماء ودرست بمعنى قدمت هذه الايات وعفت كما قالوا
اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة في درست اى اشتد دروسها ودرست
على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا
وجاز الاضمار لان الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم ويجوز ان يكون الفعل للايات و
هو لاهلها اى دارس اهل الايات وحملتها محمدا وهم اهل الكتاب ودرس اى
درس محمد ودارسات على هي دارسات اى قديمات او ذات درس كعيشة راضية
فان قلت الفرق بينهما ان الاولى مجاز والثانية حقيقة وذكر ان الايات صرفت للتبيين
ولم تصرف ليقولوا دارست ولكن لانه حصل هذا القول بتصريف الايات كما حصل التبيين
شبه به فسيق مساقه وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه فان قلت الام يرجع الضمير في قوله ولنبينه قلت

والابنية ظلالا لاشياء يستظلون بها في الحر والبرد وجعل لكم من الجبال
اكنانا مواضع تسكنونها من كهف وثقبة يأوون اليها وجعل لكم سرابيل
قميصا من القطن والكتان والصوف تقيكم الحر ترك البرد لان ما تقيه تقيه واختاره على البرد
لان المخاطبين اهل الحر وليس عندهم البرد الا قليلا فالحفظ عنه اهم عندهم وقيل ان الحر ثقيل دون
البرد ويحتمل ان البرد يمكن دفعه بشي مثل النار والدخول في البيت بخلاف الحر وسرابيل الدرع
والجواشن تقيكم بأسكم شدة الطعن والضرب في الحرب فيدفع عنكم سلاح اعدائكم وفيها
دلالة على اباحة هذه الامور ونحوها وهو ظاهر فتامل يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها كذلك
يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون في الكشاف قيل انكارهم النعمة هو قولهم لولا
ما اصلحت كذا البعض نعم الله وانما لا يجوز التكلم بنحو هذا اذا لم يعتقد انها من الله وانه اجراها على
فلان وجعله سببا في نيلها فيدل على تحريم هذا القول بل هو قريب من الكفر ويدل عليه بعض الاخبار
ايضا فلا بد من الاجتناب الاحتياط السابعة ومن اظلم ممن منع مساجد الله
ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها
الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم المنع هو الصد والحيلولة قال
في مجمع البيان الظلم اسم ذم لا يجوز اطلاقه على الانبياء والمعصومين كانه التعدي وحقيقة العدول
الخروج عن طاعة الله تعالى والسعي هو الكسب يقال فلان يسعى على عياله اى يكسب لهم وضده الوقف والترك
والخراب هو الهدم ومن للاستفهام الانكاري مبتدا واظلم خبره ومساجد المفعول الاول
لمنع وان يذكر مفعول الثاني ويحتمل ان يكون من محذوفه عن ان لان حذف حرف الجر عن ان
قياسي ويجوز ان يكون مفعولا له المضاف اى كراهة ان يذكر كذا في الكشاف ومجمع البيان ولا يرد
عليه انه يفيد تحريم المنع المعلل والمقيد لا المطلق فيعلم الجواز في الجملة لان نهاية ما يفهم منه انه
منع لا لذلك لا يكون اظلم بل يوجد من هو اظلم وهو كذلك فلا يحتاج الى انها للمبالغة فيكون المبالغة
اقل من المنع للكراهة وزاد في مجمع البيان احتمال كون المذكور بدلا عن مساجد بدل اشتمال
كانه يقول ليس احد اظلم ممن منع ان يذكر في مساجد الله اسمه لتعلق علاقة الاشتمال مثل اشتمال
الظرف على المظروف والتقدير ومن اظلم ممن منع الناس من مساجد الله كراهية
ان يذكروا الله او من ذكر الله وفي جعل مساجد ممنوعا كما وقع في الاحتمال الاول محتمل
فيحتمل القول بحذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكان الاصل متردي المساجد فلا يرد

ماقيل ان منع يقتضي مفعولين ولا يمكن ان يقدر الا الذكر فانه الممنوع على ان الذكر ممنوع منه والناس هم الممنوعون والمقصود تحريم المنع من ذكر الله في المساجد اي مسجد كان وباي ذكر كان وان كان سبب النزول خاصا بانه كان النزول في الروم حيث غزوا في بيت المقدس وخربوه او في المشركين حيث منعوا رسول الله صلى الله عليه وآله ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فتامل ولا يبعد ان يراد به مطلق العبادة فيه بل المنع عن مطلق العبادة لظهور العلة وتدل الآية على تحريم السعي على خرابه فيحرم الخراب بالطريق الاولى وفي ذكر السعي في الخراب بعد المنع اشعار بان المنع عن الذكر فيها تخريبها والعبادة فيها تعميرها فيدخل الذكر فيها في تعمير المساجد واما دلالة تتمة الاية على تحريم دخول المساجد على الكفار وتمكينهم دخولها اذ قد يكون معناها كما هو الظاهر ما كان ينبغي لهم الدخول في نفس الامر ولا يليق لهم ذلك الا خائفين حذرا من المسلمين والاخراج لهم وصار الآن بالعكس يعني في الواقع ما يستحقون الدخول الا خائفين وذليلين ويتعدون وكذلك ممنوعون المسلمين من الدخول كما يدل عليه ايضا اخرها لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم ويمكن كون ذلك الدخول خائفا والذل هو الخزي في الدنيا او اعطاء الجزية من يد وهم صاغرون ويكون العذاب العظيم في الاخرة اشارة الى يوم القيمة وهو عظيم واي عظيم نعوذ بالله منه **قيل** في الاية احكام ما عرفنا ما لم يظهر كونها بعضها حكما في نفس الامر مثل وجوب اتخاذ المساجد كفاية ووجوب عمارة ما استهدم منها ووجوب شغلها بالذكر واستحباب كل واكفائي عينا فتامل وهو اعلم

الثامنة انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلوة واتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين فيها حث عظيم وترغيب جزيل على تعمير المساجد وان له شانا كبيرا عند الله حتى انه لابد من اتصاف فاعله بهذه الاوصاف الجليلة والا ففعله كعدمه فينبغي ان يكون المعمر ممن يقيم الصلوة ويؤتي الزكوة ولم يخش الا الله والا فتعميره ليس بتعميرا مرضيا والمراد المبالغة والا فالتعمير امر مطلوب للشارع من كل مؤمن ويترتب عليه ثوابه الذي قرر ولكن قد يكون فيه الزيادة بالاخلاص واتصاف فاعله بالافعال الحسنة ولا بعد في ذلك ولهذا قيل حسنات الابرار سيئات المقربين فكانه اشارة الى ان المؤمن الكامل لم يترك شيئا من العبادات ولم يجعل غير الله معبودا ما ضيع لخوف مما يهلكه من الانس

في الاخرة عذاب عظيم

سورة التوبة

الانس والجن ويجعل خوفه وهمه ... ومع ذلك يرجى ان يكون من المهتدين ثم انه قيل يحتمل كون المراد بالتعمير رم المساجد باصلاح ما استهدم وتزيينها وازالة ما تكره النفس منه مثل كنسها فانه روي من كنس مسجدا يوم الخميس وليلة الجمعة واخرج التراب مقدار ما يذر في العين غفر له والاسراج فيها روي انه من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوءه ويحتمل ان يكون المراد شغلها بالعبادة مثل الصلوة والذكر وتلاوة القرآن وتجنبها من اعمال الدنيا واللهو واللعب وعمل الصنائع بل الحديث فانه روي الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما يأكل النار الحطب **قيل** المراد اللهو من الحديث وليس قد ذكروا ان منع المساجد من العبادة فيها تخريب حتى اطفاء السراج ويمكن ان يكون المراد كلاهما ولا بعد في ذلك لوجود الدليل عليهما كما عرفت مع امكان الصدق عرفا وشرعا وان لم يكن لغة وعرفا عاما والله اعلم بحقيقة الحال **وهنا** آيات اخر تتعلق بالمساجد ذكرنا آية منها واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين اي توجهوا الى عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها واقيموها نحو القبلة في كل وقت سجود او في كل مكانه وهو الصلوة او في اي مسجد حضرت الصلوة وانتم فيه لا تاخروها حتى تعودوا الى مساجدكم **فيحتمل** استحباب صلوة التحية على ما قيل فتامل ثم امرهم بالدعاء عند كل مسجد مخلصين له ذلك فيه دلالة على الحث على الدعاء في المساجد

التاسعة يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين يعني الذين يتخذون دينكم لهوا ولعبا وهزوا ويستهزئون بدينكم من اهل الكتاب والمشركين لا يصح ولا يجوز لكم ايها المؤمنون ان تحبوهم وتتولوهم ويكون بينكم وبينهم المحبة والوداد وان تكونوا لهم اولياء وتجعلوهم اولياء لكم بل بينكم وبينهم البغضاء والقتال فان محبة الله لا تجتمع مع محبة عدوه واتقوا الله في موالاتكم اعداء الله ان كنتم مؤمنين حقا وان الايمان يعاند موالاة اعداء الدين ففيه اشعار بعدم جواز موالاة الفساق والمعاشرة معهم بحيث يشعر بالصداقة فافهم

العاشرة واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون اي اتخذوا الذين اذا ناديتم الى الصلوة اتخذوا مناداة الصلوة اي الاذان هزوا ولعبا

سورة ن
سورة المدثر
سورة المزمل
سورة الحج

أولياء قيل كان رجل من النصارى اذا سمع اشهد ان محمداً عبده ورسول الله صلى الله عليه
عليه وآله في الاذان قال حرق الكاذب يعني المؤذن فدخلت خادمه اي جاريته بنار ذات ليلة
وهو نائم فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق البيت واحترق هو واهله لعنه الله قيل
فيه دليل ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده وفيه تأمل اذ فيه دلالة على ثبوته في الشرع
الكتاب دلالة على انه كان في الشرع لكن اما ثبوته بالكتاب فلا ولما كان لعبهم وهزؤهم من افعال
السفهاء والجهلة قال لا يعقلون كأنه لا عقل لهم **النوع الخامس في مقدمات
الصلوة** وفيه آيات قد استدل على وجوب القيام والنية والقنوت بقوله تعالى
وقوموا لله قانتين وفي دلالتها تأمل لا يخفى وكذا استدل على وجوب تكبيرة الاحرام
المشهورة على الوجه المنقول بقوله تعالى وكبره تكبيرا وبقوله وربك فكبر
وفي دلالتها ايضا خفاء فافهم واستدل على وجوب القراءة حتى السورة ايضا بقوله تعالى
وهي الرابعة فاقرؤا ما تيسر من القرآن وبقوله فاقرؤا ما تيسر منه وفي تمام
الاستدلال به ايضا تأمل لعلم بالتأمل في تقريره مع التأمل في الآية وتفسيرها وقد فسر
القراءة بصلوة الليل وهو ظاهر سوق الكلام او تلاوة القرآن في الليل او مطلقا
او استحبابا او وجوبا للحفظ المعجزة وغيرها والمخاطب هو صلوات الله عليه وآله الطاهرين
واما القراءة في الصلوة فلا يفهم فتأمل **الخامسة** يا ايها الذين آمنوا اركعوا
واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ليس فيها دلالة
على استحباب السجود عند قراءتها ولا وجوب الركوع والسجود كأنه في الصلوة وعبادة الرب
من الصوم والصلوة والحج والغزوة وغير ذلك ثم امر بفعل الخيرات مطلقا مثل صلة الرحم
ومكارم الاخلاص وافعلوا ذلك كله لعلكم تفلحون وانتم راجون الفلاح طامعون فيه غير
مستيقنين ولا تتكلوا على اعمالكم وعن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله في سورة
الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقرأهما **السادسة** وان المساجد لله
فلا تدعوا مع الله احدا قيل المراد بالمساجد الاعضاء السبعة التي يسجد عليها ويؤيده
بقوله صلى الله عليه وآله امرت ان اسجد على سبعة آراب اي اعضاء وقد روي ذلك عن
ابي جعفر عليه السلام فالمعنى انها لله اي خلقت لان يعبد بها الله ولا تشركوا معه غيره
في سجودكم عليها والظاهر انها المساجد المعروفة كما قيل فالمعنى انها مختصة بالله تعالى

سورة الواقعة
سورة بني اسرائيل

بالله تعالى فلا يتعبد فيها مع الله غيره وقيل المراد بقاع الارض كلها لقوله صلى الله عليه وآله
جعلت لي الارض مسجدا فلا يعبد غيره وقيل المسجد الحرام عبر بالمساجد لانه قبلتها وهو
الله يعلم وقيل السجدات جمع مسجد مصدرا فالمراد بها السجود لله فلا يفعل لغيره **السابعة** فسبح
باسم ربك العظيم ومثلها سبح اسم ربك الاعلى روي من طريق العامة انه
لما نزلت الاولى قال النبي صلى الله عليه وآله اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت الثانية اجعلوها في سجودكم
ومن طرقنا عن الصادق عليه السلام يقول في الركوع سبحان ربي العظيم وبحمده وفي السجود
سبحان ربي الاعلى وبحمده الفريضة واحدة والسنة ثلاثة فالروايتان تدلان على كون الذكر
الخاص فيهما ولكن بحذف وبحمده ويدل غيرهما على زيادته وهي مقبولة كما ثبت في الاصول وكذا
على اجزاء مطلق التسبيح بل مطلق الذكر وذلك غير بعيد والاحتياط قولهما ثلثا مع زيادة
وبحمده **الثامنة** ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وابتغ بين
ذلك سبيلا قال في مجمع البيان في معناه اقوال احدها ان معناه لا تجهر باشاعة صلوتك
عند من يؤذيك ولا تخافت بها عند من يلتمسها منك عن الحسن وروي ان النبي صلى الله
عليه وآله كان اذا صلى فجهر في صلوته تسمع المشركون فشتموه وآذوه فامره
بترك الجهر وكان ذلك بمكة في اول الامر وبه قال سعيد بن جبير وقد روي ذلك عن ابي جعفر
وابي عبد الله عليهما السلام ولا يخفى بعده فانه يحتمل لا يعني بقوله ولا تخافت بها وابتغ ولعل
الرواية عنهما غلط ويؤيده نقل خلاف ذلك عنه عليه السلام والاخفات محمول على عدم حد
النفس بحيث لا يظهر الحروف والابتغاء على وجه لا يسمع من يؤذي ويسمع من يأمل **وثانيها**
ان معناه لا تجهر بدعائك ولا تخافت به ولكن اطلب بين ذلك سبيلا فالمراد بالصلوة
الدعاء ولا يخفى بعده ايضا فان المتبادر منها الصلوة الشرعية وان الاخفات في الدعاء
مطلوب قال الله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وفي مواضع آخر وخيفة ودون الجهر من
القول وفي الاخبار ما يدل عليه كثير **وثالثها** ان معناه لا تجهر بصلوتك كلها ولا تخافت
بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلوة الليل وتخافت بصلوة النهار ولكن
المتابعة والجماعة والفريضة والقيام للنافلة ايضا وهذا ايضا بعيد وغير مفهوم
مع انه لا بد من جعل صلوة الفجر من الليل وجعل ركعتي العشاء والاخيرة من المغرب من النهار به
وهو مما لا يفهم بوجه **ورابعها** لا تجهر جهرا يشتغل به من يصلي قربك ولا تخافت حتى

لا تسمع نفسك عن الجنابي و... عن ابي عبد الله عليه السلم انه قال
الجهر بها رفع الصوت شديدا والمخافة ما لم يسمع اذنك واتبغ بين ذلك سبيلا اي قراءة
وسطا بين الجهر والمخافة وهذا هو المتبادر فالمنهي هو الجهر العالي جدا بحيث يخرج عن كونه قاريا
في الصلوة والاخفات الخفي بحيث يلحق بحديث النفس ويخرج عن القراءة فلا يجوز الافراط
ولا التفريط بل يجب الوسط والاقتصاد والعدل وما بين الافراط والتفريط ولكن
علم من السنة الشريفة اختيار بعض افراد هذا الوسط في بعض الصلوات بالجهر في الجملة للرجل
في الصبح واولتي العشاء وجميع النوافل الليلية والاخفات في غيرها ولكن كون ذلك على سبيل
الوجوب غير معلوم الدليل اذ لا دليل على وجوب التفصيل المشهور ويؤيد عدمه الاصل
والرواية الصحيحة وظاهر الآية وخفاء معنى الجهر والاخفات وبيانهم فان الرجل بحيث يعد
عرفا جهرا والاخفات بها لا تسمعه القريب بحيث لا يعد عرفا جهرا بل يعد اخفاتا وان
كان مما يسمعه القريب بل البعيد ايضا وفي المراة لا تسمعه الاجنبي غير معلوم المأخذ مع
عدم الوضوح والبيان فان فيه خفاء فيمكن الرواية المجملة في الجهر والاخفات على الجمع
بالجمع كما هو مذهب علم الهدى في الانتصار والله يعلم بحقيقة الحال وفي الصحاح وقال في الكشاف
بصلوتك بقراءة صلوتك على حذف المضاف لانه لا يلبس من قبل ان الجهر والمخافة صفتان
يعتقبان الصوت لا غير والصلوة افعال واذكار وكان رسول الله صلى الله عليه
يرفع صوته بقراءته فاذا سمعه المشركون وسبوا فامر بان يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر
حتى يسمع المشركون ولا تخافت حتى لا تسمع من خلفك وابتغ بين الجهر والمخافتة سبيلا
وسطا هذا مع عدم ظهوره لا يوافق المسئلة اذ ليس انما مامورا باسماع من خلفه بل هو
في بعضها بذلك في الجملة وفي بعضها بعدمه وذهب قوم الى ان الآية منسوخة بقوله
ادعوا ربكم تضرعا وخفية وابتغاء السبيل مثل الابتغاء الوجه الوسط في القراءة فيها ما تقدم
مع زيادة لزوم النسخ على انه غير لازم لامكان الجمع فتامل **التاسعة** ان الله وملئكته
يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
اي قولوا الصلوة والسلام على رسول الله او اللهم صل وسلم عليه في الكشاف معناه الدعاء
بان يترحم عليه الله ويسلم وفي رواية كعب الاحبار وانا قد عرفنا السلم عليك يا رسول الله
فكيف الصلوة فقال قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابرهيم وآل ابرهيم

الاصحاح
الاحصار
سؤال جواب

وآل ابراهيم ظاهرها وجوب الصلوة والسلم عليه في الجملة فيحتمل ان يكون الصلوة هي الجزء
التشهد والسلم حال حيوته وقد يكون مع اجتماع او يكون مندوبا كما يسلم عليه في آخر الصلوة
بقوله السلم عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته او يقصد بالسلم المخرج عن الصلوة او يكون
بمعنى التسليم والانقياد كما قيل ويحتمل وجوب الصلوة عليه كلما ذكر كما دل عليه بعض
الاخبار وبالجملة لا يفهم وجوبا غير ذلك قال في الكشاف الصلوة عليه واجبة وقد اختلفوا
في حال وجوبها فمنهم من اوجبها كلما جرى ذكره وفي الحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي
فدخل النار فابعده الله هذه مروية من طرقنا ايضا مع غيرها وروي انه قيل يا رسول الله
ارايت قول الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي فقال عليه السلم هذا من العلم المكنون
ولولا انكم سالتموني ما اخبرتكم به ان الله وكل بي ملكين فلا اذكر عند عبد مسلم فيصلي علي الا قال
ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا اذكر عند عبد مسلم
فلا يصلي علي الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الملائكة لذينك الملكين آمين ومنهم من قال
تجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قيل في آية السجدة وتسميت العاطس وكذلك
في كل دعاء في اوله وآخره ومنهم من اوجبها في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين
مرة والذي يقتضيه الاحتياط الصلوة عليه عند كل ذكر لما ورد من الاخبار انتهى والاخبار
من طرقنا ايضا مثل الاول ايضا موجودة مع صحة بعضها ولا شك ان احتياط الكشاف احوط
واختار في كنز العرفان الوجوب كلما ذكر وقال انه اختيار الكشاف ونقل ابن بابويه وانت تعلم
انه لم يفهم اختياره ويمكن اختيار الوجوب في مجلس مرة ان يصلي آخر وان صلى ثم ذكر يجب ايضا
كما في تعدد الكفارة بتعدد الموجب اذا تخللت والافلا ولعل دليل عدم الوجوب
الاصل والشهرة المستند الى عدم تعليمه للمؤمنين وتركهم ذلك مع عدم وقوع نكيرهم
كما يفعلون الآن ولو كان لنقل فتامل ثم قال فان قلت فما تقول في الصلوة على غيره القياس
يقتضي جواز الصلوة على كل مؤمن لقوله هو الذي يصلي عليكم وملئكته وقوله وصل عليهم ان
ان صلوتك سكن لهم وقوله عليه السلم اللهم صل على آل ابي اوفى ولكن العلماء تفصيلا في ذلك
وهو انها ان كانت على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها واما
اذا فرد غيره من اهل البيت بالصلوة كما يفرد هو فمكروه لان ذلك صار شعار الذكر رسول
الله عليه وآله ولانه يؤدي الى الاتهام بالرفض وللنجة فيه فان ما ذكره برهان لا يباس

اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة

وان البرهان من العقل والنقل ... مثله وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون

فانه يدل على ان صلوات الله على من يقول هذا بعد المصيبة ولا شك في صدوره كك عن اهل البيت عليهم السلام لا غيرهم لبيفه فاذا ثبت لهم الصلوة من الله فيجوز القول بذلك لهم وهو ظا يقتضي جوازه مطلقا بل الانفراد بخصوصه فلا مجال للتفصيل ولا ينبغي جعله له لبيفه صلى الله عليه وسلم ولا ذلك ما يغا مع انه لا معنى للحكم بكراهة ما يثبت بالبرهان العقلي والنقلي كتابا وسنة من الترغيب والتحريض بالامر به وانما صار ذلك شعاراته صلى الله عليه وسلم بسبب جعلهم ذلك له صلى الله عليه وآله ومنعهم لغيره ومع ان كون اهل بيته مثله صلى الله عليه وسلم في هذه الحال مما لا تتصور فيه كما هو عند الاجتماع وانما صار شعار الرفضة لانهم فعلوا ذلك وترك غيرهم لغير وجه والا فهو مقتضى البرهان ومع ذلك لا يستلزم كونه شعارا لهم ومتفردا ولا بينهم تركه والا يلزم ترك العبادات كك فانها شعار لهم وبالجملة لا ينبغي منع ما تقتضي العقل والنقل والنقل جوازه بل استحبابه وكونه عبادة بسبب ان جماعة من المسلمين يفعلون هذه السنة والعبادة فان ذلك تعصب وعناد محض وليس فيه تقرب الى الله به وطلب لمرضاته وعمل لله وهو ظاهر ولا ينبغي من العلماء العمل الا لله ولهم امثال ذلك كثيرة مثل ما ورد في تسنيم القبور ان المستحب التسطيح ولكن هو شعار للرفضة فالتسنيم خير منه وكك في التختم باليمين وغير ذلك ومنه ذكر على بعد محمد صلى الله عليه وآله وترك الآل معه صلى الله عليه وسلم مع انه مرغوب بغير نزاع وانما النزاع كان في الافراد فانهم يتركون الآل معه ويقولون صلى الله عليه والعجب انهم يتركون الآل في حديث كعب الاحبار حيث يقولون ساله عن كيفية الصلوة عليه فقال صلى الله عليه وآله قولوا اللهم صل على محمد وال محمد كما صليت على ابرهيم وال ابراهيم الخ فتامل ويدل على ان ايذاء الله ورسوله حرام موجب للعن ابدا قوله ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا ويدل على تحريم ايذاء المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات بغير استحقاق وجناية يقتضي ذلك ومنه قوله والذين يؤذون المؤمنين بغير ما اكتسبوا اي بغير جناية واستحقاق يبيح ذلك فقد احتملوا بهتانا واثما م...



